الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحـــــــــث العلمي





جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي
تخصص أدب قديم

مذكرة مقـــــــدمة لنيل شهادة المـاستر

الموضوع:

وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي

إعــــــداد:
– جليل نورية

إشـــــراف:
الدكتور سعيد المكروم

السنة الجامعية 2017-2018

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على صاحب الشفاعة سيدنا محمد النّبي الكريم وعلى آله وصحبه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

إلى من لم تدخر نفساً في تربيتي - أُمي الحنون

إلى من تشققت يداه في سبيل رعايتي - أبي الصبور

إلى إخوتي - زهيرة ،لخضر ،طارق

إلى صديقتي لا بل أقول أختي التي لم تنجبها أمي بوطبق خيرة

إلى الأستاذ الفاضل الدكتور سعيد مكروم الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث

حيت قدّم لي كل النصح والإرشاد طيلة فترة الإعداد فله كلّ الشكر والتقدير

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من العائلة والأصدقاء التي قد دعموني من كل النّواحي من قريب أو بعيد.

إلى كل من نصحني لأدرس اللّسان العربي، وإلى كل الأساتذة طوال مشواري الدّراسي

أرجو أن يكون بحثني هذا خالصا لوجه الله وأن تكون فيه الفائدة، وأن يغفر لنا زلاتنا فيه على ما وفقنا إليه ويعلمنا ويكتبنا مع طلبة العلم إتباعا لسنّة نبييه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام.

نــــــــــــورية

الدّعاء

اللّهم يا مـــــــــــــــــــــــــــعلم إبراهيم

علمـــــــــني

ويا مفـــــــــــــــــــــــــــــــــهم سليمان

فهمـــــــــني

ويا مصـــــــــــــــــــــــــــــــــبر أيوب

صبـــــــرني

ويا مؤتي لقـــــــــــــــــــمان الحكمة آتني فضل

الحكمة وفضل

الخـــــطاب

اللّهم علمني ما ينفـــــــــــــــــعني وانفعني بما

علّمـــــتني

آميـــــــــــن

قائمـــــــة المصـــادر والــــــمراجع

القرآن الكريم

1. القرآن الكريم،سورة الأنفال.
2. القرآن الكريم، سورة المائدة.

المصادر:

1. أحمد الهاشمي،جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب،مطبعة السعادة،دط،مصر،1956.
2. أحمد حسن الزّيات،تاريخ الأدب العربي،دار المعرفة،ط1،2000.
3. أبو الحسين أحمد إبن فارس،الصحابي في فقه اللّغة،مؤسسة بيران،لبنان،بيروت،1964.
4. أبو هلال العسكري،الصناعتين،المكتبة العنصرية،ط1،بيروت،لبنان،1419.
5. ابن منظور ابو الفضل جمال الدين الأنصاري،معجم لسان العرب،دار الصادر،ط3،بيروت،لبنان،1965.
6. ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1.

7.ابن طباطبا،عيار الشعر،ت عباس عبد الستار،دار الكتب العلمية،1982.

8.ابن خلدون،المقدمة،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ط1،بيروت،لبنان،2004.

9. أنيس إبراهيم،المعجم الوسيط،دار الفكر،ط3،سوريا،1998.

10. إيليا الحاوي،فن الوصف وتطوره في الشعر العربي،دار الكتاب اللبناني،ط2، 1978.

11. امرؤ القيس، الديوان،دار الصادر،دط،لبنان،بيروت،1958.

12. الآمري،الوازنة بين أبي تمام والبحتري،دار المعارف،ط4،2006.

13. الخنساء تماضر بنت عمر، الديوان،دار الأندلس،دط،بيروت،لبنان،1962.

14. القيسي حمودي النوري،الطبيعة في الشعر الجاهلي،عالم الكتب للطباعة والنّشر،دط،بيروت،لبنان،2004.

15. الشنفري عمرو بن مالك،شرح وتحقيق إيميل يعقوب،دار الكتاب العربي،ط2،

بيروت ،لبنان،1993.

16. المفضل الضبي،ت محمد ساكر وعبد السلام هارون،المفضليات،ط6،القاهرة،

مصر،2010.

17. الوليد ابن عبيد الطائي البحتري،ت محمد توجي،دار الكتاب العالمي،دط،بيروت،لبنان،1994.

18. النابغة الذبياني،الديوان،دار المعرفة،ط2،بيروت،لبنان،2005.

19. الكفافي منذر ذيب أبو زيد سامي يوسف،الأدب الجاهلي،دار المسيرة لنشر والتوزيع،ط1،عمان،الأردن.

20. زهير بن أبي سلمى،الديوان،ت فخر الدين قساوة،دار الآفاق الجديدة،بيروت،

لبنان 1989،

21. حسين عزة،شعر الوقوف على الأطلال،دار الصادر،دط،دمشق،سوريا.

22. حنا الفاخوري،تاريخ الأدب العربي،المكتبة العربية،ط1،بيروت،لبنان،1980.

23. مصصفى الرافعي،تاريخ آداب العرب،دار الكتاب العربية،ط2،لبنان،1974.

24. محمد التويجي،المعجم المفصل في الأدب،دار الآفاق،ج2،لبنان،1956.

25. محمد العمري، البلاغة بين التخييل والتداول،إفريقيا الشرق،دط،2005.

26.محمد رجب البيومي،دراسات أدبية،دار الدراسة،ط2،مصر،1985

27. مصطفى ياصف،دراسة الأدب العربي،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،1988

28. سعيد محمد القيومي،فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي،دار المعرفة للطباعة والنشر،ط2،2002.

29. سويد بن أبي جاهل الشكري،الديوان،ت شاكر عاشور،وزارة الأعلام والنشر، دط،بغداد،العراق،1972.

30. عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،ط2،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1996.

31. علي الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي،الدار المصرية اللبنانية،ط1، القاهرةمصر،2004.

32.علي الجندي،في تاريخ الأدب الجاهلي،مكتبة دار التراث الطباعة،ط1،1991.

33. عنترة بن شداد،الديوان،دار الأندلس،دط،بيروت ،لبنان،1968.

34. عبد العظيم علي القناوي،الوصف في الشعر العربي،شركة مكتبة الطباعة،دط،مصر،1994 .

35. عبد الحافظ صلاح،الزمان والمكان وأثرهما في الشعر الجاهلي،دار المعارف ط1،1993

36. عبد المالك مرتاض،المعلقات السبع السميائية الإنثيولوجية،منشورات إتحاد الكتاب،دط،1998.

37. عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،ت شيخ مصطفى ومتيسر العقاد،مؤسسة الرسالة الناشرون،ط1،بيروت،لبنان،2004.

38. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب،شركة الشهاب باتنة،الجزائر،1998.

39. قيس بن الخطيم،الديوان،ت ناصر الدين الأسد،ط3،بيروت،لبنان،1966.

40. ناصر الدين الأسد،مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التارخية،دار الجيل،ط7، 1988.

41.شوقي ضيف عبد السلام،تاريخ الأدب العربي،دار المعارف،ط1،قاهرة،مصر 2003.

42. غازي طليمات،الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه إعلامه فنونه،دار الفكر،ط1، بيروت،لبنان،2002.

43.موقع الأنترنت: https /www .doror/aliraq.net

44. موقع الأنترنت:WWW.fehrestcom .COM>INDEX>CHOPTER

ـ معنى الوصف، أقسامه، وأنواعه:ـ

1ـالمعنى العام للوصف:ـ

الوصف في اللغة هو:وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة:"جلّاها"[1]

وفي تعريف معجم الوسيط نجد أنّ معنى وصف شيء وصفاً أوصفة:نعته بما فيه.[2]

والوصف جزء من منطق الإنسان لأن النّفس محتاجة إلى ما يكشف لها من الموجودات ويكشف الموجودات منها،ولا يكون ذلك إلّا بتمثيل الحقيقة،وتأديتها إلى التصوّر في الطريق السمع و البصر والفوائد.[3]

وفي تعريف أحمد الهاشمي للوصف يقول "الوصف عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له وأصوله الثلاثة هي:ـ

الأول: أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عما سواه .

الثاني:أن يكون ذا طلاوة ورونق.

الثالث:أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب،ويكتفي بما كان مناسباً للحال .[4]

وفي المعجم المفصل في الأدب"نجد أن الوصف:جزءٌ طبيعي من منطق الإنسان،فالإنسان بطبعه ميّال إلى معرفة ما حوله من الموجودات،وتصويرها بالسمع والبصر والفوائد.[5]

ـ أما في الاصطلاح أهل العربية على معان منها النّعت ومنها: النعت وهو تابع يدل على معنى في متبوعا مطلقاً، والوصف المشتق، مقابل الاسم، نحو ضارب ومضروب، الصفة المعنوية وهي ما دل على ذات مبهمة باعتبار معنى غير مقصود.

---

[1]ابن منظور،ابو الفضل جمال الدين الأنصاري:معجم لسان العرب،دار صادر،ط3،بيروت،1965،ص9

[2]أنيس،إبراهيم وآخرون المعجم الوسيط،دار الفكر،ط3،سوريا،1998،ص:351

[3]مصطفى الرافعي،تاريخ آداب العرب،دار الكتاب العربي،ط2،لبنان،1974،ج3:ص119

[4]احمد الهاشمي،جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب،مطبعة السعادة،(دط)مصر،1965،ج1، ص:326.

[5]محمد التو نجي،المعجم المفصل في الأدب ،دار الكتب العلميةط1،مصر،1993،ص :884.

2- الفرق بين الوصف والتشبيه:-

فيما يظن أن الوصف هو عينه النعت،أو التشبيه قام بعض النّقاد بالتمييز بين هذه المصطلحات:-

فرّق ابن رشيق في كتابه"العمدة"بين الوصف والتشبيه اذ قال في تعريفه للوصف:

"....وهو مناسب للتشبيه،مشتمل عليه،ليس به،وأن ذلك مجاز وتمثيل".[1]

أما الخليل بن احمد فقد روى ابن فارس عنه:إن النعت لا يكون إلا في محمود،وإن الوصف قد يكون فيه وفي غيره،أما ابن فارس فلم يفرق بين النعت والوصف حيث قال"إن النعت هو الوصف".[2]

وإذ كان ما نقله ابن فارس عن الخليل صحيحاً،لم يكن الوصف مرادفاً للنعت لان الواصف يصور ما وصف بتعداد امارته،فيمدح ما فيه من سمات المدح،ويقدح ما فيه من شيات القدح،والناعت يضيف إلى صفات المنعوت تجميلاً يحسنه في الخيال من يتصوره.[3]

3- أجود الوصف:-

لم يقتصر النّقاد جهودهم على التفريق بين التشبيه أو النعت،والوصف،بل كان هناك مقياس لجودة الوصف.

فأجود الوصف عن ابي هلال العسكري هو:"ما يستوعب أكثر معاني الموصوف،حتى كأنه يصور الموصوف نُصب عينيك".[4]

[1]ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1،ص:294.
[2]أبو الحسين أحمد ابن فارس،الصاجي في فقه اللّغة،دط،مؤسسة بدران،لبنان،بيروت،1964:ص88.
[3]غازي طليمات،الأدب الجاهلي قضياه،أغراضه،اعلامه،فنونه،دار الفكر،ط1،بيروت،لبنان،2002م ص:76.
[4]ابو هلال العسكري،كتاب الصناعتين،المكتبة العنصرية،ط1،بيروت،لبنان،1419:ص:56

وأحسن الوصف عند الرافعي هو ما خرج من علم،وصرّفته روعة العجب،ليخرج في أكمل صورة وأروعها يقول:"إن أحسن ما يكون الوصف الصادق اذ اخرج من علم،وصرفته روعة العجب يكسبها صورة البالغة الشعرية.[1]

وقد يختلف الشعراء في مقدار براعتهم الشعرية،فبعض الشعراء يجيد الوصف في غرض شعري معيّن،ولا يجيد الوصف في غرض آخر،مقابل ذلك نجد شعراء يجيدون الوصف في الأغراض كافة،لكنهم ينفردون بالشعرة في فرض واحد.

وتعليقا على هذا الأمر يقول ابن رشيق:"ويتفاضل الناس في الأوصاف،كما يتفاضلون في سائر الأصناف،فمنهم من يجيد وصف الشيء ولا يجيد وصف آخر،منهم من يجيد الأوصاف كلّها وإن غلبت عليه الإجادة في بعضها". [2]

4- أهم شعراء الوصف:-

ومن أهم الشعراء اللّذين اشتهروا،في وصف أشياء معينة،مع إجادتهم في وصف كافة الأغراض،امرؤ القيس الذي اشتهر بوصف الخيل،وطرفة بن العبد الذي كان افضل في وصف الناقة في معلقته،أما الحمير الوحشية فكان الشماخ أوصف الناس لها،وكان الاعشى و الأخطل وأبي نواس وابن المعتز أوصف الناس للخمرة،وذو الرّمة أوصفهم للرمل ...[3]

وإذا برع الأوائل بوصف الصحراء وما ضمت، فإن للمتأخرين براعة في وصف الطبيعة الحضارية كالقصور والبرك وهم البحتري وسلمى بن الوليد، وابن المعتز، والصنوبري وقد ازداد أمر الوصف مع ازدياد الحضارة واكتشاف المعالم.[4]

ويرى بعض النّقاد، والأدباء أن الوصف في كل شيء نوعان:- خيالي وحسّي، فالوصف الخيالي يعتمد التشبيه والاستعارة، ويحاول أن يستحضر الموصوف من الذاكرة،أما الوصف الحسّي فه تصوير للموصوف، ولا ريب أن الوصف الحسّي أبلغ، وأجود، وأندر،وأكثر صعوبة من الوصف الخيالي، وبما أنّ الوصف هو أهم أسلوب من أساليب التعبير القديمة

---

[1]مصطفى صادق الرافعي،تاريخ آداب العرب،ص:88.
[2]ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ص:295.
[3]المرجع نفسه،ص :296.
[4]محمد التونجي،المعجم المفصل في الأدب،ص884.

عند الشعراء القدماء، جاءت أوصافهم حسية ماديّة بعيدة كل البعد عن التجريد والخيال وهي بالتالي نسخة مطابقة للواقع .[1]

5- مراحل فن الوصف:-

أ- الوصف النّقلي:

يكتشف البدائي العالم بالمقابلة والتشابه، لذا فإن الوصف النّقلي هو المرحلة الأولى من مراحل الوصف، حيث يقتصرهم الشاعر فيه على اكتشاف التشابه التي تشخص بين مشهدين مختلفين، حيث يتنازع الشاعر مع الظاهرة ليقبض عليها حيز الألفاظ والصور،إنه نسخة مطابقة لنسخة الكون، فامرؤ القيس يؤلف الأوصاف والتشابيه ليبدع بالألفاظ، وصوّر فرسا يشبه فرسه تماماً،فطرفا الصورة هنا ماديان، وفضيلة الشاعر تقوم على التشبيه الحسي والمساواة بينهما.[2]

لَهُ أَيْطَلاَ الظَّبيْ، وسَاقا نَعَامه وإرخَاءُ سَرْحان، وتَقريبُ تَتْفُل.[3]

وقد يبدو هذا الوصف بالنّسبة لبعضنا ساذجاً، أما بالنسبة للبدائي فكان شديد التعقيد،يقتضيه كثير من التحسر والجهد، نظراً لبطأ ذهنه وعجزه عن فض لّغز الأشياء وتحديدها، فالوصف هو أهم أسلوب من أساليب التعبير لدى الجاهلي، لأن عجزه عن تداول المعاني جعله يرسمها رسماً، والتعبير عن الفرس بالأفكار والمعاني، يصعب بل يستحيل عليه، ذلك قابل بين هذه الساق وساق أخرى تشبهها، راسماً المعنى الذي في نفسه بصورة رآها في بصره.[4]

ب -الوصف المادي:-

يضطر الشاعر أحياناً إلى وصف فكر، أوحالة نفسية يمر بها، أو عاطفة تجتاحه، فلا يستقيم معه أسلوب المقارنة، والمقابلة الذي اعتمده في وصف الفرس، وتأتي هنا المرحلة الثانية من مراحل الوصف وهي الوصف المادي، ويختلف عن الوصف النّقلي في أن

---

[1]عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،ط2،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1969م،ج1،ص:81.
[2]إيليا حاوي،فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ،ط2،دارالكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،1978،ص:8
[3]امرؤ القيس،الديوان،دار الصادر،بيروت،لبنان،1958،ص:10.
[4]أيليا حاوي،الوصف وتطوره في الشعر العربي،ص:9.

المقارنة هنا بين فكرة أو حالة نفسية من جهة أو مشهد حسّي، أو صورة مادية من جهة أخرى.[1]

فمثلاً زهير بن أبي سلمى حيث أراد أن يمثل الموت، وهو فكرة مجرّدة تفهم فهماً، ولا ينظر إليها بالبصر، لأن ذهن الشاعر يعيها متجرّدة عن شكلها المّادي، فإنه عمد إلى أسلوب يسمح له بالانتقال من المعنوية إلى المادية، ولم يجذ بدّا من مقارنتها بناقة عمياء تضرب الناس على غير هدى،حيث قال:-

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاء مَنْ تَصبُ   تُمِتْه ومن تَخْطيء يُعَمَّرُ فَيَهْرَم.[2]

فوجه الشبه بين الوصف النّقلي والوصف المّادي، هو اتفاقهما في الشبه به، أو الطرف الثاني من الصورة، وهو دائماً ماديّ، أما الاختلاف فيكون في الطرف الأول الذي يكون حسياً في الوصف النقلي ومعنوياً ذهنياً في الوصف المادي أي أن الوصف في هدين النوعين هو وصف علمي يقوم على الصحّة والدّقة والصدق في الوصف.

ج ـالوصف الوجداني:ـ

تعتبر هذه المرحلة أرقى المراحل في الوصف، ففيها يتخطى الشاعر حدود الظاهرة الحسية، فينتقل إلى نفسه، أو ضميره، أو شعوره، فيتخذ منها موضوعاً جديداً، أرقى من الوصف النّقلي والمادي على السواء.[3]

وهذا النوع من الوصف يتأثر تأثيراً قوياً بجهاز الإنسان العصبي، أو القلق الذي يعتبره أمام ظواهر الطبيعة، وحدود الكون، فاذا به يتساءل عما وراء الأشياء، فيكون الواقع المرئي وسيلة للتساؤل عما وراءه في الكون والحياة، فإذا بالشاعر يغوص في قرارة ذاته مناجياً ومشتكياً حيناً، وضاحكا باكياً حيناً آخر، وكأنه يصف ذاته من خلال الأشياء التي يذكرها.[4]

[1]المرجع السابق،ص:10.
[2]زهير بن أبي سلمى،الديوان،ت فخر الدين قساوة،دار الآفاق الجديدة،ط3،بيروت،لبنان،1980ص:25.
[3]إيليا حاوي،فن الوصف وتطوره في الشعر العربي،ص:7-20.
[4]المرجع نفسه،ص :11.

فالبحتري لا يرى الربيع كما هو في حقيقته، بل يراه ضاحكاً مختالاً ينقل أنفاس الحبيب إلى حبيبه وهذا ما نراه في قصيدة له يصف فيها الربيع يقول:-

أَتَاكَ الرَّبيعُ الطّلق يَخْتَالُ ضاحكاً منَ الحُسْن حتى كاد أن يتكلّما.

وَقَد نّبه البروزُ في غَسَق اللّجى أَوائلَ وَرْدَ كُنَّ بالأمس نَومّاَ .[1]

الشاعر في الأبيات السابقة لم يكتف بوصف مظاهر الطبيعة وحسب، بل عبّرعما رآه إلى ما شعر به، حيث تراءى الرّبيع كأنه يختال اختيالاً، أو يضحك ضحكاً أو هذه الصفات هي ليست للربيع، وإنما هي من الشاعر، فالضحك في نفس البحتري.

فالشاعر من خلال هذا الوصف الوجداني، لم يصف المشهد الجديد، له واقع الطبيعة، وملامح الإنسان، إنّه واقع مادي نفسيٌ.

بالإضافة إلى عنصر الشعور، فهناك عنصر آخر لا يقبل أهمية في خلق الصورة الشعرية التي تأخذ من الواقع المّادي منطلقاً لها، وهذا العنصر هو عنصر الخيال، فالخيال ترجم للشعور والتجسيد له.[2]

والآن يبدو الفرق جلياً واضحاً بين الوصف النّقلي، وبين الوصف الوجداني، فبينما ترى الشاعر خلال النّوع الأول يراقب الأشياء وينقل ما يراه بطريقة صادقة، فإنه في الوجداني ينصرف إلى تأويل بعد أن تتولاه نفسه وتتحدد به .

إن فضيلة الوصف النقلي هي في دقته وصحة تشبيبها، تبدو فضيلة الوصف الوجداني في نزعته الداخلية وتوغله في ذات الشاعر وذات الأشياء .

وبينما أن الوصف هو فطرة اللّغة العربية، واصل طبيعتها التي ركبت عليه، فقد واكب هذا الغرض الإبداع الشعري منذ الجاهلية، ولا يزال غرضاً مطروقاً حتى اليوم، إما مثقلا، أو ممتزجاً مع غيره من الموضوعات.

[1] الوليد بن عبيد الطّائي البحتري،ت محمد توجي،دار الكتاب العالمي،دط،بيروت،لبنان،1994،ص1068.

[2] إيليا حاوي،فن الوصف وتطوره في الشعر العربي،ص13.

6. مدى ارتباط الوصف بالشعر الجاهلي:-

يلازم الوصف طبيعة النفس البشرية خاصة في طور البداوة حيث تستبد نزعة التقليد، والميل إلى نقل كلّ ما تراه العين، حتى غدت الأشعار لوحات منقولة بدقة وبراعة عن البيئة التي يعيشها .[1]

والوصف عن الجاهلي كان عدّته في تصوير وتقريب ما حوله، فكانت حدقته المبصرة تجول فيما حوله من طبيعة مفتوحة الأرجاء، من أرض وسماء، وبادية مفاوز مترامية كل ذلك يحاول تصويره ونقله كما يراه ويحسه.

وصف الشاعر الجاهلي كل ما وقعت عليه حدقته المبصرة، بذوق فنان بارع، فقد صور الخيل والناقة، وسائر الحيوانات التي استأنسها، والتي استوحشها، كما وصف النباتات ما أغلّ منها وما أظل، والجبال والوديان، ووصف الشعراء الساحليون البحر،السفن، والغواص، والملاح، كما وصفوا الرحلة والصيد.[2]

والدارس للشعر الجاهلي يجد فيه وصفاً للذاتيات، كما يجد فيه وصفاً للموضوعات على اختلاف أجناسها، وأنواعها، وتباين أشكالها وهيئاتها، ويجد فيه وصفا للمعنويات والمدركات العقلية والخيالية، كما يجد فيه وصفاً للماديات والمدركات، البصرية والحسية.[3]

وكذلك نرى الوصف التجريدي، ذلك في كثرة كاثرة من الحكم التي تعج بها أشعارهم،وتغص بها قصائدهم، ومنها قول زهير بن أبي سلمى :-

رَأَيتُ المَنَيَا خبطَ عشواء منّ تُصَبْ تُمِتْهُ ومَنْ تُخْطىء يُعَمَرُ فَيَهْرَم

ومن لا يُصَانعُ في الأُمــور كَثيرة يُضْرَبُ بأنياب ويُوَطَّأُ بمَنْسَم[4]

---

[1]إيليا حاوي،فن الوصف وتطوره في الشعر العربي،ص:7.
[2]علي الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي،الدار المصرية اللبنانية،ط1،القاهرة،2004،ص:10.
[3]محمد رجب البيومي،دراسات أدبية،دار السعادة،ط1،مصر،1985،ص:43.
[4]زهير ابن أبي سلمى، الديوان، ص :25.

الشعر الجاهلي هو سجل تظهر فيه معالم الحياة الجاهلية على حقيقتها، فهو وجهاً لوجه أمام معالمها، كأننا نعيش في قلبها ولا نتخيلها تخيلاً.

وقد كان الطلل أكثر ما تناوله الشاعر الجاهلي شعره، به يبدأ كل وصف وكل وصف خارجي لا يعبر عن الوجدان بما فيه من مضاعفات شعورية.[1]

وأشهر من نظّم في وصف الطلل امرؤ القيس، حيث وقف واستوقف، وبكى واستبكى بكلمتين ومعظم النّقاد يتمثلون بهذا المطلع كنموذج على الوصف التقليدي للطلل[2]، يقول:-

قفَا نَبْكي منْ ذكْرَى حَبيب ومّنْزل بسَقْط اللّوى بَيْنَ الدّخُوْل، فَحَوْمَل.

فَتَوضح فَالْمقْراةُ لَم يعْف رَسْمـها لمَا نَسـتحَتُها منَ جَنُوب و شَـمَال.[3]

فمطلع معلقته يتشابه وكل مطالع قصائد شعراء الجاهلية، إذ إن وحدة الموضوع أدت إلى وحدة المعاني والصور، بسبب ضعف الخيال، وضيق الأفق، فكما بكى امرؤ القيس بكى آخرون، وكما أوقف مطيته أو قوا مطاياهم.[4]

ووقف الشعراء طولاً،يصورون حبّهم للمرأة، وما يذرفون من دموع على فراقها وما تضع بهم ذكرى المحبوبة على شاكلة بشر بن أبي خازم:-

فظَلْتَ من فَرط الصّبَابَة وَالهَوَى طَرْفَا فُؤَادك مثْلَ فعْل الأيْهَم.[5]

وقد وصف الشاعر الجاهلي بيئة الصحراء التي ما انفك يتجول فيها طالباً رزقه متنازعاً بقاده، وكان ارتيادها وجهاً من وجوه البطولة والفروسية، فاذاً هي جرداء قاحلة ليس فيها نبات، يتراقص فيها الآل ويلتمع، وتتمزق فيها نفسه وهذه أبيات لسويد بن أبي كاهل اليشكري يصور فيها الصحراء يقول:-

---

[1]إيليا حاوي، فن الوصف وتطوره في الشعر الجاهلي، ص:20.
[2]حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي،ص :180.
[3]امرؤ القيس، الديوان ، ص:8.
[4]إيليا حاوي، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي،ص: 90.
[5]بشر بن أبي خازم الاسدي،الديوان،شرح مجيد طراد،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،1994،ص:179.

كَمْ قَطَعْنَا دُونَ سلْمَى مَهْمَا نزاخ الغُور إذَا الآلُ لَمعَ

في حُرُور يَنضُج اللّحْمَ بهَا يَأخذُ السّائرَ فيهَا كَالصّقْع[1]

وصف الشاعر الجاهلي المطر، البرق والرّعد والسحاب، ووصف الحيوان رفيقه في اسفاره، وشريكه في كفاحه ضد نفسه، ولعل الفرس والناقة كانتا من أهم الحيوانات التي وصفها الشاعر الجاهلي، لالتصاقهما بواقعه الجغرافي، ولحاجته اليها في جميع أموره ووصفه للحيوان الذي يجتاز به الصحراء، جعله يصف ما يصادفه في طريقه، كالبقرة الوحشية التي تمتاز بسرعة عدوها، وضراوتها في الدّفاع عن نفسها.

وكان وصف عنترة بن شداد لفرسه في المعركة دليلاً على رهافة حسّه، وقدرته على تمثيل ما يدور في صدر جواده، فقد نال الجواد في المعركة أثخن الجراح، ولو أوتي القدرة على النطق لعنترة، وشبه شكواه، لكن عنترة فهم بلا كلام، لان طول المعاشرة جعلت كلا منهما يقف بالحدس على دخيلة صاحبه،يقول:-

فَـازْورَّ مـنْ وقْع الـــــقنا بلَبَانه وَشَكا إليَّ بعـــــبْرة وتحَمْـحم

لَو كَانَ يَدْري ما المحاورة اشْتَكى ولَو كَانَ لَو عَرفَ الكَلام مُكلّمي[2]

في الشعر الجاهلي صور كثيرة للطيور، يوحي وضعها بالقوة والسلطان، ويشيع من بعضها العطف والإيناس، ويرتبط بعضهما بالحنين إلى الوطن، وبعضها بالشؤم والفرقة فيعب الغراب مؤذن بالفراق عند نابغة الذبياني،يقول:-

زَعَم الغُراب بأنَ رحلتنا غَدَا وبذَاكَ خَبْرَنَا الغُدَاف الاسْوَد

لا مَرْحَبَا بغَــدْو لا أهْلاً بــه إنْ كاَن تَفْريقُ الاحبَة في غَد[3]

---

[1] سويد بن أبي كاهل اليشكري،الديوان،تحقيق شاكر عاشور،وزارة الاعلام للنشر،دط،بغداد،العراق،1972،ص:263.

[2] عنترة بن شداد،الديوان،دار الاندلس،دط،بيروت، لبنان، 1968،ص:39.

[3] النابغة الذبياني،الديوان،ححقه اعتنى به حمد وطمّاس،دار المعرفة،ط2،بيروت، لبنان،2005،ص:38.

أما الخنساء فقد اعتبرت أنّ طير اسد استقر بقبر أخيها صخر، تقول في رثائه:-

فَلَا يَبْعُدَ أَبُو حَسّان صخر وحَلّ برَمسه طَيْر السُّعود[1]

ونجد ايضا صورا كثيرة للكروم النابتة في ظلال النخيل، وذكر للأعناب، والثمار، كالتين والرمال والتفاح، وعناية بأزهار الصحراء كالعرعار والشيح والقيصوم، وتغنياً بالبان والسلم والخزامى، ولعل الأقحوان في العصر الجاهلي كان يوحي إلى الشعراء ما يوحيه الورد الأبيض من معاني النّقاء والصّفاء، وحب العرب لرائحة نبات الريحان جعلهم يسمون كل زهير طيب، النشر باسمه، فشاعت اللّفطة في الشعر الجاهلي.[2]

وقد صّورالشنفرى مجلساً أوى إليه ماء، فخيل إليه أنه تحت مظلّة تكترفه من كل جانب، نسجتها ريحانة مطولة بحبات المطر، متفتحة الزّهر، فواحة الأرج، فقال:-

فَبِتْنَا كَأن البَيْت حَجــَّر فَوْقَهَا بِرَيْحَانَة، رَيحَتْ عشْواء وَطُلّلَت.

برَيحَانة منَ بَطْن حليه نوّرَتْ لَها أرْجٌ مَا حوّلها غير مسنت.[3]

واقترنت صور الطبيعة في الشعر الجاهلي بالأزمنة، فتحدث الشعراء عن الفصول، وعما يصاحب كل فصل من مشاهد ، فالخريف زمان اختراف الثمار اليانعة، أي قاطعها، والشتاء زمان البرد والزّمهرير، والصيف مقرون بالتماع السراب، وشدّة الحّر، وفي الرّبيع تخصب الأرض، وتنتج الأنعام، وتجتاز القوافل الفلوات، وترسل كلّ قبيلة رائدها يتعرف ويكثف، رائدها يكشفها ويتعرف، فلا تؤم مرعى مالم يكن واخر الكلأ،[4]

وللشاعر الجاهلي القدرة على وصف النّفس وأحوالها، خاصة أذا كان مهموماً، ثقيل النّفس، وإن كان الشاعر رهيف الحس كامرؤ القيس، خيّل إليه جمل ضخم،أناخ على الكون يتمطى، ويتمادى في الجثوم والرسوخ، ويضغط على قلب الشاعر ونفسه، ويجعلها، أنّه

---

[1] الخنساء تماضر بنت عمر،الديوان،دار الاندلس،دط،بيروت،لبنان،1968،ص:39.
[2] القسي نوري حمودي،الطبيعة في الشعر الجاهلي،عالم الكتب للطباعة والنشر،دط،بيروت،لبنان،2004،ص:98.
[3] الشنفرى،عمرو بن مالك،الديوان،شرح وتحقيق،إميل يعقوب،ط2،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،1996،ص:34.
[4] غازي طليمات،الأدب الجاهلي قضاياه،أغراضه،أعلامه،فنونه،ص87.

حافلة باليأس والأسى، وصرخة من صرخات الاسترحام، فيستدعي الشاعر الفخر وهو يعرف أنّه لن يكون خيراً من الماء، لكن الصباح ـعلى ما فيه ـ أحب إليه، لأنه يغسل عينه من أوضار الأرق الممرض، وينزع من جفنيه الصور النجوم الثوابت في كبد السماء، كأنها ربطت بحبال أعاليها في أعناق النجوم، وأسلافها في قمم الجبال يقول:ـ

وَلَيْل كَمَوْج البَحْر أَرْخى سُدُوله عَلَيّ بأَنوَاع ال،هُمـوم ليُبتلي.

فَقُلْت لَهُ لّما تَـــــــمَطى بصُلبه أرْدف إعجَازاً، ونـاء بكَلْكل.

وقد شغف وصف الجاهليين، فوصفوا أبسط الأشياء حسب عاداتهم الجاهلية ومن ذلك وصفهم لعادة من عادات الأطفال، وهي رميه عين الشمس قائلاً لها أبدلينا منها إذا انخلعت من فيه[1] ،يقول طرفة:

بَدَّلتـُه الشّمْس منْ مَنْبَتـــها بُرْداً أبْيضَ مَصـــقُولَ الأشَر.[2]

7ـ خصائص الوصف في الشعر الجاهلي:

والدارس للشعر الجاهلي بجد فيه خصائص عامة تميزه، وابرز هذه الخصائص:

- إنّ الوصف لم يكن غرضاً متَفرداً في الشعر الجاهلي، فلا نجد فيه قصيدة وقفها الشاعر على وصف روضة، أو وصف حيوان،وإنّما نجد الوصف ركناً من أركان القصيدة كالحجر في البناء، أو حلية تجمل الفكرة كالسوار في المعصم. [3]
- نلاحظ كذلك غلبة النّزعة المادية على الوصف الجاهلي، لأن النفسية البدائية ذات طبيعة المادية، تتداول ما يقع تحت الحواس، ويصعب عليها الولوج إلى عالم الذهنيات المجردة فالجاهلي يميز بين الكريم والبخيل من خلال تصرفهما، لكنه يعجز عن تصور المعنى، الكرم فكرة مجرّدة معنوية لا شكل ماديا لها، وغير مرتبطة

[1]محمد رجب البيومي، دراسات ادبية،ص:46.

[2]طرفة بن العبيد :الديوان،ت فوزي عفوي،دار الصعب،ط2،بيروت،لبنان،1993،ص:78.

[3]غازي طليمات،الأدب الجاهلي،قضاياه،أغراضه،أعلامه،فنونه،ص:128.

بشخص أو محادثة ونلاحظ أيضاً في الشعر الجاهلي غلبة الطابع الحسي على الصور وقرب المشبه من المشبه به.[1]

- ومن سمات الوصف الجاهلي الواقعية، ومن ابرز مظاهرها النّقل الأمين من البيئة، فإن كان الشاعر أعرابيا موغلاً في البداوة جاء بصور جافية،وإن كان من سمار الملوك أخذ من الحضارة، ومن مظاهر الواقعية أيضاً الدّقة في الرسم والتلوين المرسوم، ولرصد حركاته، ويتجلى ذلك في وصف الطبيعة. [2]
- ومن خصائص الوصف أيضاً، القّص والمحاورة، وتشيع هذه الظاهرة في قصائد الصيد والطرديات، حيث يخص الشاعر رحلة صيده من لحظة خروجه إلى نهاية الرحلة، مع ما يتخللها من أحداث، وهذه الخاصّة توحيي المشاهد وتبث فيها الحركة.[3]
- أما التفكك واللاتتابع بين الأجزاء الواقع يتناوله الوصف، فنراه أيضاً عند الشعراء الجاهليين، فمثلاً عندما يصف الشاعر إلى جيدها، وينثني إلى وصف خُلق من أخلاقها، ثم يعود إلى ملامحها متنقلاً مفاجئاً، لا تطور فيه ولا نمو، وكذا الحال إذا ما وصف الفرس، حيث يذكر سرعته وينتقل إلى لونه ثم يعود إلى سرعته، ويتجاوز فجأة، إلى أيطيلة وساقيه، ثم لا يلبث أن يعود إلى سرعته[4]

ويمكن القول:- إنّ هذه هي أهم الخصائص العامة للشعر في الصر الجاهلي،بالطبع مع وجود استثنائيات لكل خاصية من الخصائص عند بعض الشعراء.

وبمجيء رسالة الإسلام، تغيرت من العادات والتقاليد التي كانت في الجزيرة العربية ومن الأمور التي كان للإسلام تأثير ملحوظ عليها فن الشعر، حيث شجع الإسلام على قول الشعر الجيد الخالي من الألفاظ الفاحشة، ومنع الشعر يسيء فيه الشاعر إلى غيره .

---

[1] إيليا حاوي،فن الوصف في الشعرالعربي،ص:69.

[2] غازي طليمات،الأدب الجاهلي،قضاياه،أغراضه،أعلامه،فنونه،ص:128-131.

[3] المرجع نفسه،ص :129.

[4] إيليا حاوي، فن الوصف وتطوره في الأدب العربي،ص75-76.

مقدمـــــــــــة

كانت الطبيعة عبر العصور ولا زالت في عصرنا الحالي الملهم الأول لأرباب، الفّن لا سيما الشعراء منهم ذلك أن الطبيعة ترافق الشاعر بمظاهرها طوال حياته، ويستوجي منها عناصر تجربته الشعرية. وقد كان وصف الطبيعة في الشعر القديم باباً طرقه معظم الشعراء واتسع المجال فيه ولم يخل منه ديوان من دواوينهم، وقد عالج الشعراء، الطبيعة في العصور المختلفة وأمعنوا في وصف مظاهرها بمختلف الأوصاف والنّعوت، فالشاعر الجاهلي أدرك معالم الجمال في طبيعة بيئته ما جعله يبدع في وصفها وتصوير مظاهرها فوصف الأطلال والبرق والمطر والليل ومختلف الظّواهر الطبيعية، وكل شيء وقعت عليه عيناه في الصحراء، ولم يهمل وصف حيواناته وساعات جدبه....

فجاء وصفعا خلال قصيدته تمهيداً للغرض الرّئيسي من مدح أو هجاء أو رثاء، وتسود الطبيعة كثيراً في النّصوص الجاهلية القديمة، فالشاعر منها نشأ وفي أحضانها ترعرع، وبمُثلها العليا بلغ الكمال الروحي. والطبيعة من العوامل التي تثير قريحة المبدع، وتحثه على الإبداع وقد أكثر الشعراء الجاهليون من ذكر النّبات والماء في أشعارهم وكان الشاعر الجاهلي يبدأ قصيدته بالأطلال، ويذكر الرحلة التي يصف من خلالها كل ما يراه في طريقه، وكأنّ هذه الرّحلة وسيلته للخلوة والاندماج مع الطبيعة لإتمام عملية الإبداع بأحسن صورها، وقد ظهر هذا الطبيعة لإتمام عملية الإبداع بأحسن صورها، وقد ظهر هذا واضحاً في أشعارهم فوصف كل مظاهر البيئة.

والبيئة في العصر الجاهلي كانت غنية بمظاهر الطّبيعة، التي ألهمت كثيراً من الشعراء بأسلوبها وسحرها وجمالها، حتى صارت مصدراً أساسياً استقى واستفاد منه الشاعر الجاهلي كثيراً من إبداعه وفنه، وقد تمثل إعجاب النّقاد القدماء باستلهامات وإبداعات الجاهليين في مناخ عدة مثلت الطبيعة أهمها، فقد احتسبوا امرؤ القيس أشعر

الشعراء لأنه" أول من لطف المعاني، واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء وألمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصا، وتشيبه امتلاكهم لشعر والنثر وبراعتهم فيهما بمهارة الحوت الذي يسبح في بحورهم، تارة يصورون الرحلة البحرية التجارية، أو الرحلة البحرية التاريخية، وتارة أخرى كانوا يشبهون المحبوبة في روعتها وجمالها ومنعتها بالدرة النفسية، فالطلول والضياء وألمها والخيل والعقبان كلها من مظاهر الطبيعة الجاهلية التي أبدع الشاعر في وصفها واستوحى منها صوره والجمال إبداعه مع ملاحظة أنهم جميعا يشتركون في صفتي الإيجاز والإطالة ومنهم من أوجزه وركّزه ومنهم من أطاله وفصله.

ولإبراز القيمة الفنية والأدبية والموضوعية لمظاهر الطبيعة في الشعر الجاهلي، جاء في منهج بحثي تاريخاً وصفياً وتحليلياً، تطلبته الخطة التي اعتمدتها في موضوعي هذا الموسوم بـ "وصف الطّبيعة في الشعر الجاهلي"، والتي اشتملت على مدخل ومن خلاله تطرّقت إلى معنى الوصف،الفرق بين الوصف والتشبيه، أهم شعراء الوصف، مراحل فن الوصف، ثم عرجت على مدى ارتباط الوصف بالشعر الجاهلي، وفي الأخير توقفت عند خصائص الوصف في الشعر الجاهلي، حيث نطرح جملة من التساؤلات من ضمنها، ماهو دور الوصف وما مدى ارتباطه بالعصر الجاهلي؟، وما أهم عوامل البيئة التي اهتم بوصفها الشعراء الجاهليين؟ وكيف اعتنى الشاعر الجاهلي امرؤ القيس بظاهرة وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي؟.

وأحاول في بحثي أن أدرس وصف الطبيعة من خلال العصر الجاهلي في فصلين، حيث تناول الفصل الأول مظاهر الطبيعة في الشعر الجاهلي.

ففي المبحث الأول:السّمات الطبيعية في الجزيرة العربية، ثم المبحث الثاني جاء فيه دراسة للبيئة الجاهلية(الطبيعة الصامتة و الطبيعة المتحركة)، وبعدها المبحث الثالث والأخير تظمن الأطلال وموضوعاته في العصر الجاهلي.

وبعدها تدرجنا الفصل الثاني:- فتناولت فيه تصوير الجانب الطبيعي في العصر الجاهلي وهو الآخر ركّزت فيه على ثلاثة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول تصوير الطبيعة في الشعر الجاهلي، وفي المبحث الثاني فيه الخصائص الفنية والموضوعية في شعر الطّبيعة، ويليه المبحث الأخير على الوصف عند امرؤ القيس "أنموذجا".

أود أن نثني على المجهدات الفائقة والمساعدات المادية والمعنوية التي قام بها الأستاذ الفاضل **"سعيد مكروم"** المشرف على هذا البحث بما تفضل به من النّصائح.

1- السّمات الطبيعية في الجزيرة العربية:

أ- موقع الجزيرة العربية:

بلاد العرب أو الجزيرة العربية كما كان القدماء من أهلها يسمونها تقع في الجنوب الشرقي من القارة الأسيوية، وهي تحد شمالا بالبحر الأبيض وجبال الطرسوس، وجنوبا ببحر اليمن، بالخليج الفارسي وبحر عملن، وغرباً بالبحر الأبيض.[1]

ويرى علماء الجيولوجيا أنها كانت ملتصقة بافريقية في الزمن المتعمق في القدم، ثم فصلهما منخفض البحر الأحمر الذي يمتد في عربيتهما، كما يرون أنه كان يغطي جزءاً منها في العصر الجليدي مروج الخضراء، وكانت تجري يها بعض الأزهار، ولا تزال تشهد عليها أودية جافة عميقة، ويطل في الجنوب المحيط الهندي وفي الشرق بحر عمان وخليج العرب، وترامي متوغلة في الشمال على حدود فلسطين وسوريا غرباً والعراق وبلاد الجزيرة شرقاً.[2]

واختلاف الظواهر الطبيعية في بلاد العرب جعلهم يختلفون طبائع وصناعات ومنها كما يختلفون حضارة وبداوة ، فهؤلاء هادئون إلى حد، وأولئك ثائرون إلى غير حد، وهؤلاء يصنعون التجارة، وأولئك يزاولون الزراعة، وقد تجد منهم له حظ من الصناعة وكل هدا التباين كان له أثره في أدبهم بوجه عام، وفي شعرهم بوجه خاص.

ب - أقسام جزيرة العرب:

قسّم الجغرافيو العرب الجزيرة إلى خمسة أقسام وهي تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وتهامة هي المنطقة الساحلية الضيقة المطلة على بحر القلزم أو البحر الأحمر، تسمى في الجنوب باسم تهامة اليمن،وقد بلغ عرضها في بعض الأمكنة خمسين ميلاً، وكان العرب القدماء يسمونها الثور لانخفاض أرضها، وهي أرضها، وهي أرض رملية شديدة

[1] عبد العظيم علي قناوي،الوصف في الشعر العربي،الجزء الأول،شركة مكتبة الطباعة،مصر،1949،ص:7.
[2] المرجع نفسه،ص:17-27.

الحرارة، وقد قامت بها بعض المرافىء والثغور مثل الحديّدة في اليمن ومثل جدة وينبع في الحجاز.

ويقع في شماليهما ثغر صغير يعرف باسم الوجه،ويظن أنّه كان ثغر مدينة الحجاز المعروفة الآن باسم مدائن صالح،وفي الجنوبي، الوجه قرية الحوراء وبما كانت هي الموضع، الذي أرسى فيه إليوس جالوس القائد الروماني بجيوشه سنة 23.

وتمتد في شرقي تهامة سلسلة جبال سُّراة من الشمال إلى الجنوب فاصلة بينها وبين هضبة نجد ومؤهنة ، إقليم الحجاز والمعروف، وتكثر في هذا الإقليم الأودية والمناطق البركانية، والحرّات وهي أراضي رملية تعلوها قمم البراكين.[1]

وينبسط الحجاز شرقاً في الهضبة نجد الفسيحة التي تنحدر من الغرب إلى الشرق حتى تتصل بأرض العروض وهي بلاد اليمامة والبحرين، ويسمي العرب جزءها المرتفع مما يلي الحجاز باسم العالية، أما الجزء المنخفض مما يلي الحجاز باسم العالية.

أما القسم الخامس من الجزيرة وهو اليمن فيطلق على كلّ الجنوب، فيشمل حضرموت ومهرة والشحر، وتتألف اليمن من أقسام طبيعية ثلاثة:ساحل ضيق خصب هو تهامة اليمن وجبال موازية للساحل هي امتداد سلسلة جبال السراة، ثم هضبة تفضي إلى نجد ورمال الربع الخالي، وبها الكثير من الأودية والسهول والثمار والزروع بفضل أمطار الرياح الموسمية الغزيرة.[2]

ج ـ جو بلاد العرب وأثره في شعرهم:

هذا العرض الموجز لأهم أجزاء بلاد العرب، ولطبيعتها يهيىء لنا أن نحكم حكماً صالحاً مبسوطاً على جوها، فجوها له أثر عظيم في شاعرية اهلها، فهي في أكبر مناطقها قارية الجو، ما عدا بعض المناطق الساحلية، وقد أجملت ذلك قبل، فنفصل هنا هذا الإجمال.

[1]شوقي ضيف عبد السلام،العصر الجاهلي تاريخ الأدب العربي،دار المعارف،ط1،القاهرة،مصر،2003،ص:18.
[2]المرجع نفسه،ص:20.

- تظهر الحرارة المنطوية على الرّطوبة في السهول الساحلية، وبخاصة في نهاية بلاد اليمن وإمارة البحرين، ومن القبائل التي كانت تسكنها بكر وأسد وتميم وغيرها.
- تشتد الحرارة الخالصة في الوهاد التي تتوسط الجزيرة، وفي الوديان الواطئة ويعتدل الهواء في المرتفعات ، ومن القبائل التس كانت تمكن هذه الأقاليم: بنو حنيفة وبنو قشير وجعدة ونمير وكلاب، وغيرها.
- ويتميز البحر الأحمر بجوه الحار، فيمد الأقاليم المناخية له بالدفىء في الشتاء،ويلطف من رمضاء الصحالري التي على الشاطئين صيفاً.
- ونجد كما قدمنا من أجمل بلاد العرب جواً، لذلك تغنى بصباها الشعراء.[1]

د- أثر البيئة في الشّعر العربي:

البيئة أعظم العوامل المؤثرة في الأدب، بل هي واقع أمرها،وقوة وقعها، تعتبر الخالقة لبعض فنونه، المكونة لأكثر عناصره، فإنّها تخلع عليه جميع ألوانها وتهب له كل مظاهرها،بل هي تحرمه ما حرمته، تمنعه ما منعته، ليس ذلك شأنها مع الأديب أو مع الإنسان فحسب، بل هو شأنها مع الحيوان يتلون بلون بيئته التي يعيش بها، ويتكون بتكونها، فإذا تركت الصحراء إلى إقلبم ساحلي حيث وجدت لون أبيض، وطبعاً لينا هادئاً، واوضح معنا، جزالة ألفاضهم قوامها لكل صلب، فإذا جاوزت في الصحراء إلى حصرى يكسو الخصب حقوله ثياباً من الأشجار السابقة، والأزهار الناضرة والثمار اليانعة رأيت في ألفاظهم رقة، وفي معانيهم خيالاً مركّباً. [2]

[1] عبد العظيم علي قناوي،الوصف في الشعر الجاهلي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،ط1،القاهرة،مصر،1949،ص:6.
[2] المرجع نفسه،ص:8.

2- دراسة للبيئة الجاهلية(الطبيعة الصامتة والطبيعة المتحركة):

أ- الطبيعة الصامتة:

الطبيعة الجامدة هي المنطقة الصحراوية التي كان يقطنها الجاهليون بجبالها وسهولها ووديانها وغبر ذلك، والمقصود بالمنطقة الصحراوية هنا شبه الجزيرة العربية بحدودها المعروفة، وبرغم من قسوة وطبيعة مناخ هذه المنطقة إلا أن العرب كان يقطنون على سهولها، أو قمم جبالها، أو على أطرافها بسواحل بحارها.[1]

وصف الصّحراء:

وبالرغم من صعوبة الصّحراء ووعورتها وقساوتها وحرارة شمسها وألسنة كثبان رمالها الجافة، فالشاعر لم يخبىء هذه المعايب في شعره، وإنها يبرزها ليكون منها مسرحاً يفخر من خلاله باعتيازه لفيافيها، لذلك نجده يظهر وعورة مسالكها وخلوها ووحشيتها حتى يتمكن من عرض وقوفه ومغامراته في هده الصحراء الموحشة،فقد شبه امرؤ القيس خلو الصحراء من الناس ببطن الحمار الوحشي فقال:[2]

وَوادٍ كَجَوْف العيْرِفُقْر قَطَعهً   به الذّئْب يَعْوي كَخَلْيع المَعيل.

فَقُلت لَهُ لَمَا عَوَى إنّ شـأنَنَا   قَلْيل الغنَى إنّ كنت لمَا تمول.

وصف الصراب:

ما أن تتحدث عن الطبيعة الجامدة إلا ونذكر الصحراء التي ما أن أن نذكرها حتى يدور بذهننا الإرتحال وما يحيط به من اعتقادات بصرية بوجود أوظهور أشياء يتمناها أو يفتقدها المرء في رحلته وهذا مت نسميه بالآل أو السراب.[3]

---

[1] ناصر الدين الأسد،مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية،دار الجيل،ط7،1988، ص:14.
[2] امرؤ القيس،ديوانه،ص :51-52.
[3] السراب: الذي يكون نصف النّهار لاصقاً بالأرض كأنّه ماء جار،والآل الذي يكون بالضحى يرفع الشخوص بين السماء والأرض ويعرفه ابن السكين أنه الذي يجري على وجه الأرض كأنه ماء.

وهو عبارة عن خدعة بصرية ترسخ في ذهن المرء بوجود تموجات مائية ناتجة عن تعامد الشمس مع مد البصر،وبعد المسافة، وبما أنّ السراب دائماً بطول الرحلة ووصول

الإنسان قمة جهده، وربما يرتبط بالظمأ الشديد فكان لابد للشاعر أن يضمن قصائده هذه الصورة التي لا شك في أنّها صالحة لتبختر الشاعر مظهراً تفوقه في مجال التصوير الفني.

وصف الجبال:

تعد سلسة جبال السراة الممتدة من اليمن جنوباً إلى أطراف البادية الشام شمالاً. من أعلى المناطق، وتبرز درى هذه السلسة مراقب عالية، اتخذ منها الصعاليك والذئبان ملاذاً، يأوون إليه للاستراحة، أو الاستخفاء، وتحتضن هذه السلسة الممتدة دياراً وقرى كثيرة، من القبائل ونعم بخضرتها الجاهليون، ووقف عند رياضها وجنّاتها عدد كثير من الشعراء يذكرون خيرها وخصبها ونمائها.[1]

وصف الكثبان:

والكثبان جمع"كثيب" وهو مجتمع الرمل، وهي منتشرة في ساحات واسعة من الجزيرة العربية مشكلة جبالاً، وألسنة رملية متناسقة، فهي أشكال عرضها الشعراء فارتسمت صورها في أذهانهم، وحددوا أبعادها هندسياً، فكان ما استطال منها "حبلاً" وما أعوج منها"حقفاً" وما استدار منها"دعهما" وما كان بيت التقطع، والاتصال منها فهو "سقط" وبقت هذه الإشكال واضحة يستمد الشاعر منها صوره.[2]

وصف الوديان:

تقوم الأودية المتشعبة بين جبال الجزيرة بممتدين كبيرتين، إرسال المياه عند نزول الأمطار من منحدرات الجبال إلى البحر والفيافي وكونها تولف معظم الاراضي الخصبة التي نزلت حولها القبائل واقامت عندها بيوتها وخيامها مرابعها، فتاس الوادي في ديار بني

[1] عبد العظيم علي قناوي،الوصف في الشعر العربي،ص:24.

[2] علي أحمد الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،ط1،2004،ص:36.

كنانة وشيرمان واد نزلت عنده بنو كعب الشيطان ووديان نزلت فيها تميم وكان ورود أو وديان في الشعر يأتي في الكثير من الأحيان مقترناً بذكر الأحبة.

وصف السّحاب والبرق والرّعد:

وطبيعة الصحراء العربية لم تكن قاسية في مجموعها، بل فيها ما يسعد،فإن هناك أصحاب جانباً منها الجفاف والقحط فإن هناك رسل الخير المتمثلة في السحاب الهاطل الذي ينزل الأرض الموات فتهز وتربو، وتنبت العيش إلى أجل غير مسمى، وفي موضع آخر يوصف البرق الذي يصاحب السحاب الممطر ويتخيله فيصفه امرؤ القيس في سرعته وانتشاره بالألف التي تتسابق طبعاً في القمر، وأن الغيث ينزل فيملأ الأماكن كلّها، حيث يصف"عبيد بن الأبرص" السحاب، وما يتخلله من البرق، فيجيء وصفه دقيقاً وذلك لطول صحبته إياه، فهو لم يذق للنوم طعماً في تلك اللّيلة التي سمر فيها مع أصحابه.[1]

وصف الآبار والحساء والأحواض:

أجمع المؤرّخين والباحثون على أن جزيرة العرب كانت تختلف اختلافاً كلياً من حيث وفرة المياه، والخصب، وكثرة الأمطار والشعر الجاهلي يحتفل بإشارات كثيرة إلى الغدران والجداول والعيون والسيول والوديان، وكثيراً ما كان يأتي ذكر بعض هذه المظاهر في حديث الشعراء عن قدرتهم على اجتياز المسلك الصعبة.[2]

أمّا الحساء على نحو ما ورد ذكر الآبار والعيون في الشعر، ورد ذكر الحساء أيضاً ومياه الحساء تجري تحت الحصا على مقدار ذراع ودونه، وأحياناً على دراعين وربما أثارته الدّواب بحوافرها ومواضعها. المناطق الرملية التي تكون تحتها الصلابة، فإذا أمطرت السماء على ذلك الرمل، نزل الماء، فمنعته الصّلابة أن يغيض ومنع الرمل أسائهم أن تنشفه.[3]

---

[1] علي أحمد الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي،ص:25-26-27.

[2] عبد العظيم علي القناوي،الوصف في الشعر العربي،ص:43.

[3] المرجع نفسه،ص51.

أما الأحواض فقد استعملت في السقي، فإذا تساقطت الأمطار سالت إلى هذه الحياض للاستفادة منها أيام الجفاف، فيشربون منها، ويسقون أنعامهم، وكانو يطرحون في أحواض الإبل حجزاً يقدرون عليها الماء ويقتسمون بينهم.

وصف الرياح والأنوار والأمطار:

وضعت العرب لكل ريح اسماً يختلف باختلاف مناطق هبوباً، فالتي تهوى من مطلع الشام

هي الشمال، لأن مهبها من بلاد العرب فما يلي الشام، والتي تهوى من مطلع الشّمس، أمّا الأمطار فقد كان الأمطار أنّ اهتمام العرب بالمياه، وحرصهم على المحافظة عليها دفعهم إلى الاهتمام بالمطر والسّحاب، وما يتعلق بهما من برق ورعد وصواعق، فعرفوا الأنوار ونجوم الاهتداء، حيث لا إمارة ور هادي، ولا بد أن تكون صعوبة الحياة وشدة العور، والحاجة الملّحة، أما النجوم فقد اهتم الغرب بالنّجوم، لأنّها تعود إلى موضع حاجاتهم، ولأنهم كانوا يحتاجون الانتقال من محاضرهم إلى المياه وهم يعلمون أن عملية التنقل هي تحتاج إلى وقت صحيح يوثق به.[1]

وصف الشجر والنّبات:

من الطبيعي أن ينال الشجر والنبات والأزهار والثمار والأعشاب نصيباً وافراً من حديث الشعراء الجاهليين، لاتصالها المباشر بحياتهم، التي يعتمدون عليها في مواجهة الحياة، ومواجهة عوارضها.

حيث كان النّخيل من أقدم أنواع الشجر الذي عرفه الإنسان، وقد وردت أشارت إليه في شريعة حموراني، الذي تعد من أقدم الشعائر البشرية، واستعملت النّخل الزخاف الرمزية التي ساع استعمالها في العراق القديم. [2]

[1]اعبد العظيم علي قناوي،الوصف في الشعر العربي،ص:66-67.
[2]المرجع نفسه،68-70.

ب ـ الطبيعة المتحركة:

وصف الحيوان:

كان موقف الإنسان من الحيوان ـمن أقدم العصورـ غريباً فهو يستأنسا مرة، ويفتك بها للتغذي مرة أخرى، ويستعملها وسيلة لنقله تارة ويقدس بعضها أخرى، وكانت آثار تلك الغرابة تلوح جلية في آدابه في حكاياته وأساطيره فالأدب الجاهلي زاخر بوصف الحيوان على اختلاف أصنافه وألوانه، والقصائد العربية المخصومة بالحيوانات تعد من أجل الشعر وأظهره.[1]

وصف الإبل:

اهتم الشعراء بوصف الإبل، وتأثرت بحبهم لأنها الحيوان المناسب للحياة في الصحراء، لتحملتها وعورتها، ومقاومتها ظروفها،ومن هنا كثر تردد ذكرها في الشعر حتى لا تكاد تخلو قصيدة من ذلك، ولم يكن جديتهم عنها مثقلاً أو مملاً، فيصفها الشعراء بالصلابة والسرعة

وصف الكلاب:

يشغل ذلك الكلب في الأدب الجاهلي والعربي صفحات عدّة، فهو الحيوان الذي اعتمدوه في صيدهم، ولّقبوه ألقاباً مشهورة، وشغلوا أنفسهم في تدريبه، للانتفاع به في الحراسة، ومرافقة قطعان الماشية لحمايتها من الذئاب والضراري.[2]

وصف النّاقة:

الناقة عند الشاعر الجاهلي بساطه السّحري، يجوب بها الآفاق والطباق، حتى يصل إلى مقصوده وغرضه، وكثيراً ما يحثها على الملوك ووجهات القوم، أو يحثها السير إلى محبوبته خلفه كئيب النفس، مفطور القلب وهي لهذا تعتبر واحدة من لوامه التي لا تفارقه،

[1] عبد العظيم علي القناوي،الوصف في الشعر العربي،ص:98.
[2] المرجع نفسه،ص :117.

فهي ملازمة له كظلّه، ولهذا تبدو في مطالع قصائده وفي أثناها، بل إن بعض الشعراء قد أفرد لها قصائد طوال يصفها على نحو دقيق[1].

وصف الخيل:

كانت العرب ترتبط الخيل في الجاهلية والإسلام، معرفة بفضلها، وما جعل الله تعالى فيها من عز، وترشقاً بها، وتبصر على المخمصة والأواء، وتحضها وتركبها، وتؤثرها على الأهل والأولاد، وتفتخر بذلك في أشعارهم وتعتده لها، فلم تزل من حب الخيل ومعرفة فضلها حتى بعث الله نبيه عليه السلام، فأمره الله باتخاذها وارتباطها، فقال"وَأَعَدُّوا لَهُمْ مَّاْ اسْتَطَعْتُمْ منْ قُوَّة وَمنَ رّبَاط الخَيْل تُرْهبُونَ لَهُ عَدُوَّ الله وَعَدُّوَكُمْ "[2] ،ولذا نجد الجاهلي يقضلها على نفسه وأهله، ويلتمس لعا أحب الأسماء إليه وربها استق لها اسما من صفة يراها فيها.[3]

وصف الغزال:

أفاض الشعراء الجاهليين في وصف الغزال،وأعجبوا أيما إعجاب يحور عينيه، وسواد مقتليه، ورشاقة، وخفة حركته، وسرعة عدوه فقبس الشعراء الجاهليين جميع هذه الصّفات، ووصفوا بها الحسناوات فذلك(طرفة بن العبد البكري) يشبه حبيبته بالغزال واصفاً عينيها بالسواد، ثم يصورها مختلفة عن القطيع لترعى صغيرها الذي لا يقوى على السير، ثم صارت خميلة مع قطيع من الغزلان والبقر الوحشي لترعى الكلأ والعشب.

وصف الثّور:

ردد الشعراء الجاهليون في أشعارهم وصف الثيران الوحشية، والبقر الوحشي، والحمير الوحشية، والذي يبدوا من خلال أوصافهم لهذه الحيوانات أن أكثر الصور التي ورد فيها

1

2 القرآن الكريم،سورة الأنفال،آية[20].
3 علي أحمد الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي،ص:104.

ذكرها، جاء من خلال أوصافهم لرواحلهم، وهم في طريقهم إلى ممدوحيهم، أو أحبتهم لتجشموا من اجلهم هو هذه الرحلة ممدوحيهم.[1]

وصف الحمار الوحشي:

وتكاد صورة الحمار الوحشي مشابهة لثور الوحشي، أو البقرة الوحشية، من حيث تعرض الشعراء لأوصافه، لأنها تخضع في هذه الأوصاف إلى العوامل التي خضع لها الثور الوحشي أو البقرة الوحشية.

وصف الأطيار:

وقد اتسعت حدقة الشاعر الجاهلي ليرصد ما في طبيعة الجزيرة العربية من ألوان الطيور، فقد كانت الجزيرة تموج بأنواع شتى منها، ومن الأطيار التي وصفها الجاهليون طيور تعيش على الأرض وتتخذها مواد لعيشها ونفسها، ومنها ما يأبى الاستقرار ويفضل الطيران والتحليق في الأجواء شادياً ومغرداً، وقد وصف الشعراء الجاهليون ضمن ما وصفوا من الطير (النعام، العقبان، النّسور، الزخم، الصقر، الحمام، القطا، الغربان كما وصفوا طير الحبارى)، وانتزعوا من وصفهم الأطيار تشبيهات خلعوها على الخيل أو على المعاني الشجاعة، والقوة[2].

وصف الحشرات والزّواحف:

لقد استبان لنا بجلاء ووضوح تامين أن البيئة الجاهلية كانت الينبوع الشّر لشعر الوصف، الشعراء الجاهليون كلّ ما وقعت عليه أنظارهم، سواء في ذلك البيئة الحية المتحركة كالخيل وشجر الدوم والحماط والرمان والحنظل والفلفل والقرنفل، أو البيئة الساكنة كالأمطار والسحاب والبرق والرّعد والجبال والصخور والرمال.[3]

---

[1] المرجع نفسه،ص :174.
[2] علي أحمد الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي ،ص:59.
[3] المرجع نفسه،ص194.

3-الأطلال وموضوعاته في الشعر الجاهلي:

أ- الوقوف على الأطلال:

الحديث عن الأطلال والارتحال،من أشد مثيرات الوجدان، فالمكان يترك أثراً عميقاً على الإنسان والارتحال يفرق بين قلبين إلى مدى لا يدري كلاهما عقباه، وساكن المكان يشد حنينه إليه بعد تركه، فإذا مرّ به أو محاولة الدّخول فيه، ومعرفة ما آل إليه، والمكان يعيد لصاحبه ما كان له فيه من ذكريات فينتابه الحنين ويعتريه الأسى ولا شك أن التأثير يكون أقوى إذا كان للإنسان في هذا المكان ذكريات حلوه جميلة لا أمل في استرجاعها[1].

لقد كانت الكثرة الكاثرة من العرب بدواً تقطن الخيام، وتنتقل في الصحراء بين الفينة والفينة من كان إلى آخر، انتجاعاً للكلأ، وتتبعاً لمساقط الغيث، وطلباً للماء، كما كانت قلوب فريق منهم تخفق بالحب، حيث كانت الديار يوما من الأيام سكن المحبوبة،فطالما أكثرت التجوال في عصرتها، واشترت شمساً ساقطة في ساحاتها، وقمراً منيراً في باحاتها، فوقفوا عليها وتغنوا بها في أشعارهم، وخاطبوها كأنها تصغي وتعي.[2]

إنّ الوقوف على الأطلال محاولة لخلق انتماء مفقود، محاولة لاستقرار مسلوب سلبته البيئة، محاولة للوقوف على أرض صلبة في ظل التذبذب النّفسي الذي شكلته الإرتحال الدائم.

ب - المعاني الاصطلاحية لبعض المفردات المطلقة على بقايا الديار:

الدمن: *من هذه المفردات* الدمن، فالدمن يعني الآثار،وهي جمع دمنة فزادوا في تخصيص معنى الدمن بأنّها آثار الناس ،[3] ويعني من رماد فلم تذره الرياح، لذلك وصف "عبيد بن الأبرص"[4]جميلاً حيث شبه ظهور الدمن للرائي من على بعد الكتاب:

لمَنْ دَمَن أقوَتْ بحْرَة ضَرْغَد تَلُوحُ كعُنْوَانْ الكتَاب المجدّد.

---

[1]علي الجندي،في تاريخ الأدب الجاهلي،مكتبة دار التراث الطبعة،ط1،1991م -1412ه،335-334.
[2]علي أحمد الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي،ص :80.
[3]ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،ط3،1414،ص:1427.
[4]عبيد بن الأبرص،"ديوانه"، ص :65.

ج ـ الأطلال:

أما الأطلال أو الطلول فهي اقدم عهد من الدمن، اذ تدل على ما شخص من آثار الديار،وهي جمع طلل، ويقال أن الطلل الدار موضوع من صحتها، يهيأ لمجلس أهلا، وطلل المكان الذي يجلس عليها، وكان يكون فناء كل بيت مكان عليه المشرب والمأكل، فذلك هو الطلل[1]، ونحسب أنّ تخصيصهم لمعنى الطلل بجزئية معيّنة من الديار، هي التي كان يجمع عليها، هو الأقرب يعني المكان الذي تتحر فيه الحركة اليومية التقليدية من غدو ورواح للإبل، أو موضع قدر إيذانا يدنو موعد الطعام، ولكن الدمن والأطلال كمفردتين أصبحتا تعنيا الدار ككتلة واحدة، دون تخصيص جزء لآخر، وقد كانت الأطلال لبيد مغطاة بالرمال فأزالت السّيول الرمال عنها فبدت شاخصة، فشبّه هذه الصور تجديد الكتابة بالمداد حيث قال:

وَحَلاَ السُيُل عَن الطُلُول كأنّها زُبْر تَجدُ مُتُونهَا أَقْلاَمُهَا.[2]

أما ديار محبوبة"عمر[3] بن جعل" فقد أصبحت رسماً ولكنه لم ينعتها بالرسم لأن الديار حتى ولو أصبحت رسماً دارساً، فهي حية في مخيلته ووجدانه لذلك رأى من الصعوبة أن يطلق عليها مسمى الرسم خوفا من أن يتبادل إلى ذهن المتلقي أنّها درست كذلك بقلبه فابتدر مفاجأة الديار، وكيف أزيلت تماماً ولم يبقى منها غير آثار لأواري وما ذلك إلا من فعل الرياح و الأمطار فأصبحت فقراً لا يلجأ إليها و لا حتى القطا، إذ أصبحت بعيدة حتى عن ذلك القطا الذي ليس هناك طائر أهدى منه فأصبحت مرتعاً للحيوانات المفترسة وليت هذه الحيوانات تعيش عليها سلام ولكنها تتصارع من أجل البقاء لجذب المنطقة وجفاف مناخها فقال:

الأيَا ديَار الحَـــــيُ بالبُرْدَان خَلَتْ حَجَج بَعْدي لمَنْ ثَمَان

فَلَمْ يَبْقَ منْهَا غَير نَوَى مُهَدَم وَغَيـــْر أَوَر كالرَكْي دُخَان

[1] ابن منظور، لسان العرب،ص:9627.

[2] تجد،أي تعاد عليها الكناية بعد أن درست طهوره:بطونها أو أواسطها.

[3] هو عميرة(بفتح العين) بن عجل بن عمرو بن مالك،شاعر جاهلي،الضبي،المفضليات المفضلية رقم 64،ص:228.

د ـ تشبيه الأطلال:

بما أن الأطلال فرضت وجودها على هيكل القصيدة الجاهلية، فأصبحت رقما لا يمكن تجاوزه وتقاس جودة القصيدة بمدى وإجادة الشاعر أن يخرج من تدوين الأطلال في

نصوصه كعمل توثيقي فقط من ذكر لمواقع الديار وما أحاط بها من جبال ووديان وزمان رحيل المحبوبة عن هذه الديار التي أصبحت مقفرة لا حياة فيها، فعندما أدرك الشاعر أن ذلك لا يضيف إلى قصيدته الحاسة الجمالية المدركة بالذوق، حاول ما هو جديد فأدخل بعض النوامي البلاغية في وصفه لهذه الأطلال كالتشبيهات تمثيلاً.[1]

ولكن بالرغم من هذه التشبيهات كانت إضافة جمالية للنصوص وعنصراً أساسياً في إيضاح المعنى، وإيصال الشحنة الشعورية للمتلقي عبر النص الشعري بالرغم من ذلك فقد كانت تعاني من نفس المشكلة التي كثيراً ما عانت منها القصيدة الجاهلية العامة، فكان أن اشترك أغلب الشعراء في التشبيهات بعينها، ومن التشبيهات مثلا تشبيه فقر الديار وشخوص الأطلال عليها بالكتاب الذي خطّه بقلمه على الجلد،حيث قال الأخنس بن شهاب الغلبي:

لابْنَةَ حَطَّان بنُ عَوْف مَنَازلُ كما رَقَّش في الرق كَاتب

ويقول المرقش الأكبر:

الدَّار قُفْر وَالرُســــــُوم كَمَا رَقَّش في ظَهْر الأديم قَلم

قد يكون الإختلاف بينهما في أن الأخنس ذكر اسم محبوبته بينما لم يفعل المرقش الأكبر لأنه أنه أدرك أنه يصف ويشبه دياراً قاحلة، دياراً أكلت منها رياح الدهر رونقها، فصارت أشباحاً لذلك أصابه الحزن عندما نظر للديار بهذه الصورة كيف يربط هذا المنظر البائس باسم محبوبته حتى حتى وإن كان لها أي دار قبل زمن مضى، إنّما كان يحاول دائماً إبعادها عن كل ما يشعر أو يجلب الحزن والأسى وهو يواصل هذا العهد، فلا يربطها ولو شكلياً

[1] المفضل الضّبي،ت محمد ساكر وعبد السلام هارون،"المفضّليات"،دار المعارف،ط6،2010،القاهرة،مصر،المفضلية رقم54،ص237.

بهذه الأطلال وإنما يجعل من الأطلال وسيلة لاجترار ذكراه مع محبوبته ثم يصف هذه الأطلال دون أن يقول أن أطلال محبوبتي أصبحت وأصبحت هكذا- في تقديرنا - ما يميو بين المرقش الأكبر عن بيت الاخنس.

ولكن هذه النوعيه من التشبيهات لم تقدم لنا ما فعله الزمن بهذه الأطلال من بلى وفقر، لذلك كانت التشبيهات الأخرى التي تناولت نفس أطراف التشبيه السابقة(الأطلال بالكتابة)

ولكن بطريقة جديدة هذه الإعادة بالقلم على كتابة درستـ كانت لونية أكثر دقة من سابقتها

وهذا يؤكد قدم الذي كتبت عليه وبتالي قدم المشبه ألا وهو الديار،قال معاوية بن جعفر بن كلاب:

منَ الأجْزَاع أسفل من نَمير كَمَا رَجَت بالقَلَم الكتاَبَا[1]

وقول عبيد:

لمَنْ أَقْوْت بُحَرةَ ضَرْغَد تَلُوح كَعُنْوَان الكتَاب المُجَدَّد

وكل هذه التشبيهات تجاوزها لبيد إذ إن إعارة الكتابة تدل على وجوه كتابة قديمة بالية حاول تجديدها بفعل قلم أو كتاب، ولكنهم لم يصغوا لنا نقطة مهمة هي أن هذا التشبيه يتطلب أن الدّيار كانت طامسة أطلالها فتجدد ولم يتطرقوا للذي جددها كما فعل عندما ذكر أن السيول انزلت التراب عن الأطلال فكشفتها للرائي فأصبحت كالمجددة وكان تشبيهها مميزاً، قال لبيد:

وَبَلاْ السُيول عَنْ الطُلُولْ كَأَنَهَا زُبْرتَحُد مُتُونهَا اقْلاَمُها

وقد ينظر الشراء لفعل الرياح والأمطار بهذه الديار التي أصبحت أطلال بفعل الأمطار فكان منظر الرمال البيضاء المحيطة بأطلال سوداء، ينظر الشاعر لهذه فيشبهها بالوشم على ظاهر اليد، كقول المخيل السعدي:

---

[1]المفضل الضّبي،المفضليات،مفضلية رقم 41،ص204.

فَكَأن مَا أبْقَى البَوَارحْ والـ أَمْطَار منْ عَرصَاتَها الوشم.

وحتى لا تكون صورة الوشم غربية أو مستبعدة من قبل لمتلقي، يلجأ بعض الشعراء لتحديد الفترة الزّمنية التي هجرت فيها، الديار فأصبحت والذي تستطيع تميزه منها بهذه شبه بهذه الوشم، كقول ربيعة بن مقروم:[1]

تَخَالُ مَعْرفَهَا بَعْدَهَا أَتَتْ سُنَتَان عَلَيْهَا الوَشُومَا

والوشم تشبه به الأطلال تختلف درجة الإجادة فيه من شاعر لآخر فقد يأخذه الشاعر كالصور العامة فقط، كبيتي المخيل وربيعة السابقين وقد يلجأ الشعراء للتدقيق في هذه الصور أكثر، تماما كما كان في الكتابة وتشبيه الأطلال بها.

فينظرون للرياح وما فعلته بالديار من إزالة الأتربة فتظهر آثار الديار وما تبقى منها كأنها تجددت لذلك يشبهونها بالوشم المجدد في اليد وهذا أجود من سابقه كقول عبيدا بن سلمة العابدي:[2]

أَمْسَتْ بمَسْتَنّ الرّيَاح مُفيلَة كَالوَشْم رُجعَ في البد المَنْكُوس

هـ أراء بعض النّقاد في المقدمة الطللية:

لقد قام العديد من النّقاد والدّارسين بدراسة المقدمة الطللية وإبداء آرائهم فيها ومن هذه الدّراسات دراسة المستشرق "رجب للمقدمة حيث" رأى أن الأطلال ماهي إلاّ تقليد تبعه الشعراء القدماء إلا يختلف من شاعر أنّه يسافر وكأنّه قانون سائد[3]، ففي" بدايات القصائد يتخيل الشاعر أنّه يسافر على جمل بصحبة رفيق محبوبتة بقايا التي مازلت موجودة،

[1]عبيد بن الأبرص،"ديوانه"، ص :65.
[2]الضبي،المفضليات،مفضلة رقم21،ص:114.
[3]سعيد محمد القيومي،فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي،دار المعرفة للطباعة والنشر،ط2،2002،ص:244.

فيلتمس من رفيقه الوقوف للحظة وبأسى يأخذ في التذكر، كيف ففي أسعد أيامه منذ سنين مضت، هنا مع محبوبته، والآن قد فرقة بينهما الحياة بثقلها المستمر[1].

يرجع أن شعراء المعلّقات اقتفوا به آثارًا مبهمة لشعراء سابقين تعفت أسمائهم فضلاً عن أشعارهم وقد تحول وصف الطلل إلى وصف الخارجي، لا يعبّر عن الوجدان بما فيه من مضاعفات شعوريّة.[2]

ونجد مستشرقاً هو (نوري القيسي) يرى أن المقدمة الطللية تنهض بوظيفة شعرية تزود الشاعر بزاد الشاعر من المشاعر تهيئة فكرياً ونفسياً، يبسط هذا الرأي في قوله:"أصبحت مقدمة الطلل بكل صورها وألوانها تؤدي وظيفة خلق هذا الجو الشعري، الذي يمنع الشاعر القدرة على القول لأنه يصبح في حالة معانة شعورية حادّة، تمّده بالشاعر التي تمكّنه من التنفس عن كل يحتبس في نفسه .

بينما لاحظ(مصطفى ناصف) أنّ الشاعر الجاهلي كان مروعاً بفكرة الفناء ولذلك يرى في وقوفه على الأطلال تأكيداً الاستمرار الحياة وامتلاك ـ افي الوقت ذاته ـ لزمام الماضي الذي يسترجعه لتمثله، أحيائه في حس جديد ورؤية جديدة[3].

أما (عبد الملك مرتاض) النّقد الجزائري فيرى أن هذه الطّلليات كانت في تمثل جزءاً قائم بذاته في حياة الشاعر الجاهلي، يقول:" أنّ ظاهرة الطّلل في الشعر العربي قبل الإسلام التي اتخذها له رأبا لم تأت عبثاً ولا لمجرد البكاء على عهود ماضية وأزمان حالية ولا لمجرد الحنين والتعلق بالمكان... وإنّما الذّي يحب التوقف لديه هو هذه الطلليات كانت أو المطالع الطللية أو المقدمات الطللية كانت جزءاً من تلك البدوية الرّعوية الضنكة.

فالشاعر الجاهلي رجل الأعلام في القبيلة المتحدث الرّسمي باسمها من المقّدمات ركناً بنروي فيه بعيداً فن بعيداً عن التزامات القبيلة يلتفت لذاته معبراً عن مكوناتها[4].

---

[1] عبد الحافظ صلاح،الزّمان والمكان وأثرهما في الشعر الجاهلي،دار المعارف،ط1،1998،ص:40.
[2] حاوي إيليا،الوصف وتطوره في الشعر العربي،ص:21-22.
[3] مصطفى ناصف،دراسة الأدب العربي،دار الأندلس للطباعة والنّشر والتوزيع،ط3،1983،ص:237.
[4] عبد المالك مرتاض،المعلّقات السبع سميائية انثيولوجية،من منشورات اتحاد الكتاب،دط،1998،ص:59.

و- جزئيات الطلل:

لقد تعددت ظواهر المقدمة الطّللية ومظاهرها ومعانها، فقد صنفها (الآمدي)[1]، إلى أكثر من اثنا عشرة معنى.

ولكن يوجد بعض المعاني التي أساسية في شعر الوقوف على الأطلال، وكان الشعراء يهتمون بها في شعرهم اهتماماً أكبر من اهتمامهم بغيرها، وهذه المعاني هي التي طرأ عليها التطور خلال العصور الأدبية،وهي:

- سؤال الدّيار وتكليمها واستعجامها عن الجواب.
- التحديد الجغرافي لمواقع الطلّل.
- خراب الدّيار.
- قطعان الحيوان على مسارح الطّلل.
- حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الأطلال.

1- سؤال الدّيار وكليمها: اعتاد لشعراء العرب في شعر الوقوف على الأطلال أن ينادوا الدّيار بعد الوقوف عليها واعتادوا أن يسألوها عن أهاليها الذين كانوا خلولاً فيها في الماضي واعتادوا أن يطلبوا إليها تكليمهم وتحديثهم عن أخبارهم[2]،قال امرؤ القيس:

يَا دَارَ مَاوِيَة بالحَــــــــــائل فَالســـــــــهْبُ فَالخَبْتيْن من عَاقل

لَم صَدَاهَا وعَفَاو ر ـــــــــسْما واسْتَعْجَمَتْ عَنْ منْ منطَلَقْ السَائل

2 -التحديد الجغرافي:- وقد جرى العرف الفّني في هذه المقدمة على ذكر أسماء المواضيع التي تقع فيها الأطلال وتحديدها جغرافياً....

3 - خراب الدّيار:- من المظاهر المهمة التي اعتنى بها الشعراء القدامى ذكر خراب الديار واندثار بقاياه بعد رحيل أهلها،يقول عبيد بن الأبرص:

---

[1] الآمدي،الموازنة بين أبي تمام والبحتري،دار المعارف،ط4،2010، ص :405.
[2] حسين عزة،شعر الوقوف على الأطلال،دار الصادر،دط،دت،دمشق، سوريا،ص:23.

تَغيرت الدّيَار بذي الدَفيْن فَاذْويَة اللّويْ فرمَال لِيْن.

فَحرجيْ ذُرْوَةَ فَقــفَا ذيَال يَعْفيْ آيةَ سَلَف الـــسّنين.

4 ـ قطعان الحيوان على مسارح الطّلل: ـ إن الشاعر الجاهلي في باديته تعايش مع الحيوان ترحاله، في أمنه وخوفه، لذا فإنّ ذكرها يحسد مظهراً من مظاهر الحياة في هذه الأطلال،يقول المرقش الأكبر:

أَمْسَت خَلاء بَعْدَ سكَانهَا مُقْفَرة مَــا إنَ بهَا منْ أَرَم

إلاَ منَ العَيْن تَرعَى بهَا كَالفَارسَيْن مَشْوَا فيْ الكَمَم

5 ـ حالة الشاعر النّفسية حين الوقوف على الأطلال:ـ والحالات النّفسية التي كانت تعني معظم الشعراء، والمشاعر التي كانوا يحسُّونَ بها حيث وقوفهم على الأطلال كثيرة ومتعددة...وهي على كثرتها تتصف دائماً بالحزن والكآبة[1]، والسّر في ذلك أن هذه الأحوال النفسية تنشأ عن الذّكرى الأيام الماضية المتعددة التي قضاها الشاعر مع أحبائه، على أن السهر هذه الحالات وأكثرها دوازنا في شعر الوقوف على الأطلال كما يقول حسين عزة هي البكاء وذرف الدّموع، فقد بكى الشعراء طويلاً على دّيار أحبائهم وتعللوا بوصف الدّيار وتسلوا بنعت الأطلال، المشهورة في هذا الميدان،يقول:

كَأنّي غُدَاة البَيْن لَـــما تَحَملوا لَدَى سَمَرَات الحَي نَاقف حَنْظَل

وُقُوف بهَا صَحْبي عَلى مَطيهُم يَقُولُون لا تَهْلـك أَســى وتَجَمل [2]

[1]يوسف خليف،دراسات في الشعر الجاهلي،ص :127.

[2]امرؤ القيس،الديوان،شرح عبد الرحمن المصطاوي،ص:141

تصوير الطبيعة في الشعر الجاهلي:

الحق أن الشعر الجاهلي عندما صوّر جانب حياة العرب قد اتسم بالصدق ينقل الأشياء كما هي، ويصور الحالات تصويراً لا يخالف من ذهبت إليه العرب في معانيها التي أرادها، فالشاعر الجاهلي نقل لنا المشاهد الحية والجامدة من البيئة التي عاش فيها.

فقد وصف الصحراء بحرها وقرها رماها ونباتها، جد بها وموارد مائها، وعنى بحيوانتها الأليف والمتوحش،فأخبر عنها ووصفها.[1]

1- خصائص الشعر الجاهلي:

يمثل الشعر الجاهلي مثالا لوحدة التعبير و الأسلوب،إذ يكاد التعبير عن كل ما عبر عنه هذا الشعر يتفق أكثر في ألسنة الشعراء اتفاق البيئة الصحراوية التي عاشوا فيها، وهو نمط القول مستقل من آداب الأمم الأخرى.

أ - الصدق وتصوير العاطفة وتمثيل الطبيعة:- لأن عرب الجاهلية فطروا على البساطة والبعد عن التصنع شأن أهل البادية، لذلك فهؤلاء الشعراء لا يتصنعون في كلامهم، وإنّما يقولون ما خطر ببالهم، ويصورونه كما يتمثل لمخيلتهم.[2]

ب - الخيال القريب:- الشعر الجاهلي شعر أخيلة وتصوير،" والتصوير أصل من أصول صناعة الشاعر التي لم يخيل منها شعر الجاهلي"[3] ، وصور الشاعر الجاهلي القريبة المتناول وخياله قريب صادق التصوير وإذا عمد الشاعر في خياله فقد اعتمد في صوره على التشبيه... فالأفكار في شعره تتلاحق في صفوف من التشبيهات.

ج - التماثل في الصور والعواطف: ومما تجدر الإشارة إليه أن صور الشعراء الجاهليين الفنية تتقارب وتتماثل، فيبدو واحدة تتكرر من واحد إلى آخر والعواطف تتشابه في أكثر في القلوب ويكاد التغبير عنها يتفق في أكثر الألسنة، ومرجع هذا التماثل وحدة عيشتهم وطبيعة أرضهم، وتظللهم تحت الخيام، وضروب تصورهم مع اختلاف قليل في أساليبهم.

[1] ابن خلدون،المقدمة،دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،2004،ص649.
[2] حنّا الفاخوري،تاريخ الأدب العربي،المكتبة العربية،ط1،1980،ص:58.
[3] المرجع نفسه،ص64-64.

د- تصوير الطّبيعة في الصحراء:- الشعراء أهل البادية والشعر فيها تنفس النفس وسجل الأخبار والمآثر القبيلة، فالقصيدة بصورها وقائعها جميعاً تجري في ذلك المسرح الواسع الذي تدعوه عالم الصحراء، ففي عالم الصحراء يكشف المرء أقوى الأسباب التي دفعت إلى وجود القصيدة وخلقها وشكلها التي برزت فيه.[1]

2- تصوير الطبيعة الصّامتة:

كان الشاعر الجاهلي يعيش في عصر تنبعث فيه الآلهة والأرواح في كل شيء حوله، فآمن بقوى خفية كثيرة في بعض النباتات والجمادات والحيوانات ونسب إليها قدرة تفوق قدرة الناس، وسلم بسيطرتها على قوى الطبيعة، وباختفائها وراء كل حركة أو ظاهرة تعرض له وحاول التقرب منها، وكانت الصّحراء أمامه تفيض بالكائنات الروحية.

3- تصوير الطبيعة الحيّة:-

عرضنا فيما تقدم صور متنوعة لوصف الطبيعة الحيّة في الشعر العربي، وقد تناولت هذه الصدور أكثر ما خصّ الله به البيئة العربية من حيوان، سواء في تلك الأنس منها والمستوحش، وإذا كنا قد تركنا من الحيوان الجزيرة العربية بعضه، فليس ذلك لأن الشعراء أهملوه، وإنما لأننا لم نقصد استقصاء ما قالوه، ثم أن بعض ما تناولوه بالوصف عبروه عبراً.[2]

---

[1] أحمد حسن الزّيات،تاريخ الأدب العربي،دار المعرفة،بيروت،لبنان،ط6،2000،ص:27.

[2] نوري حمودي القيسي،الطّبيعة في الشعر الجاهلي،عالم الكتب للطباعة والنّشر والتوزيع،ط2،1984،ص:23.

الصّورة الشعرية في الشعر الجاهلي:

يعد مصطلح الصورة من المصطلحات النّقدية والبلاغية التي اعتراها اختلاف كبير بين الدارسين من حيث الاصطلاح والمفهوم، لقد توسع بعضهم حتى جعل الصورة الفّنية تدل على كل أبواب البلاغة من بيان وبديع ومعان التمسها في موسيقى الكلام وفي بناء اللّغة...، وفي الألوان البديعية وفي الخيال،"أن الصورة الشعرية فكرة وشعور ولغة وموسيقى وخيال...هذه العناصر لا تنتمي كلها إلى قسم البيان التي هو أحد أقسام البلاغة الثلاثة"[1]

وقد تدل الصورة عند فريق آخر على كل ما يتشكل في ذهن من التصورات عند سماع كلمة معينة أو عبارة وما يتولد في ذهن السامع من المعاني ذات علاقة بتجاربه السابقة، فالصور عند هؤلاء تشير إلى الصورة التي تولدها اللّغة في الذهن،بحيث تشير الكلمات أو العبارات، إما إلى تجارب خبرها المتلقي من قبل،أو إلى انطباعات حديثة.[2]

من المؤكد أن الصورة الشعرية موضوع خارجي ورمز باطني، متداول بين الطبيعة والإنسان في الإبداع الشعري إذ الشاعر هو الملكة التي توجد الصورة الفنية وتشكلها وهو اجل قوي الإنسان، بيد أن الشاعر لا يتخيل الأشياء كما هي في الواقع أو العالم الخارجي وعيد رسمها كفعل آلة التصوير أجل لابد منّ إذابة معطيات هذا العالم وتحطيمها بقصد خلقها من جديد.[3]

إن الصورة الفنية تنشأ ابتداء من استحضار المدركات الحسية عندما تغيب عن الحواس وهو يعرف بالتصوير الذي ينشأ" بمرور الفكر بصور طبيعية التي سبق أن شاهدها وانفصل عنها ثم اختزلها في مخيلته، مروره بها يتصفحها.[4]

---

[1] محمد العمري،البلاغة بين التخييل والتداول،إفريقيا الشرق،المغرب،دط،2005،ص:209.
[2] علي الغريب محمد الشناوي،الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي،ط1،مكتبة الآداب،القاهرة،2003،ص :17.
[3] أحمد علي دهمان،الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني،،ص150،وانظر سلاح فصل بلاغة الخطاب وعلم النّص:58.
[4] صلاح عبد الفتاح الخالدي،نظرية التصوير الفّني عند سيد قطب،شركة الشّهاب،باتنة،الجزائر،1998،ص:74.

أمّا التصوير فهو إظهار تلك المضمرات في الصورة الفنية الراقية النابضة بالحياة.،فالتصوير إذا هو التعبير بالصور عن التجارب الشعورية التي مرّ بها الفنان، بحيث ترتسم أمام القارئ الصورة التي أراد الفنان نقلها له وتكون أداة تصوير هذه الألفاظ والعبارات.[1]

فالخيال هو وسيلة توليد الصورة في هيئة جديدة طريفة، وهو أيضاً وسيلة للمع بين الصور المتباعدة أو حتى العارفة والمتضادة، والشعر إنسان يتخيل في المقام الأول" والخيال الشعري... نشاط خلاق، ولا يستهدف أن يدفع المتلقي إلى إعادة التأمل ما يشكله من صور نسخاً أو نقلاً لعالم الواقع ومعطياته... بقدر ما يستهدف أن يدفع المتلقي إلى إعادة التأمل في واقعه من خلال رؤية شعرية".

وقد كان جرير يعجب من خلال خيال قيس في تصوير الطيف ويكبره ويقول:

مَا تَمْنَي يَقْضَى فَقَدْ تَوْتَيْنَهُ فيْ النَّوْم غَيْر مُصّرد مَحْبُوب.[2]

أما العنصر الآخر للتصوير هو الإيحاء، وبيانه أننا لو تصورنا أن رساماً رسم لوحة بعد أن تخيلها وتفاعل معها، ولكن المطلعين عليها ـ على كثرهم ـ لم يتأثروا بها، ولم يتجاوبوا معها لأنّها لم توحي إليهم بشيء، فإن هذه اللوحة برغم ما بذل فيها تبقى هامدة خلواً من الحياة لأنّها لم توح بشيء وكذلك الصورة الفنية في الشعر إنّهاتفتقر إلى" القدرة على تشخيص بوصفه عنصراً رئيسياً في عملية التصوير الشعري إذ عليه تتوقف جودة الصورة الشعرية أو رائدتها، وهو دليل الملكة الخالقة.[3]

[1]صلاح عبد الفتاح الخالدي،نظرية التصوير الفني عند سيد قطب،ص :77.

[2]قيس بن الخطيم،الديوان،تحقيق ناصر الدين الأسد،ط3،بيروت،لبنان،1966،ص:16.

[3]السعيد الورتي،لغة الشعر العربي الحديث،دار النهضة العربية للطباعة والّشر،ط3،بيروت،لبنان،1984،ص:82.

مصادر الصورة في الشعر الجاهلي:

مهما يكن تفرد الشاعر في إبداعه، فإنّه لا يمكن إلا أن يكون ابن زمانه وبيئته ويغترف منها أفكاره وعانيه، وينحت لغته وتصوره، فهو لا يستطيع أن يتخلص من مقرونة المعنوي التي هو في النهاية حصيلة تجارية في الحياة، فالذي يتحدث أن الشاعر يشير هذه المادة في الهيئة التي يختارها، وتعبر عن نفسيته من خلال استدعائها كن مقرون ذاكرته بحيث تشكل هذه في النهاية معادلا مساوقاً لتجربته الشعرية.[1]

لا يمكن أن تنشأ صورة من العدم لذلك قال ابن طباطبا:" واعلم أن العرب أو دعمت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وادركته عيانها، ومرت بها تجاربها وهم أمل وبر: صحونهم البوادي وقوفهم النماء، فلبس من الشتاء والربيع، وصيف، وخريف، ومن الماء، والهواء، ونار، وجبل، والنّبات، حال نموه إلى حال انتهائه ولأن كنا تتحمس للأهمية البيئة الطبيعية في انتاج الصورة، فاننا نرى إن البيئة الاجتماعية والبيئة النفسية بوعيها ولا وعيها الفردي والجمعي وبأنا طيرها ومعتقداتها لا تقل شأناً عنها في ذلك، فقد تكرر أمام حسب الإنسان رؤية الإبل في مساحتها، وفي رواحها وفي الرحيل وفي كل أحوالها، بيد أن خياله لم يقتبس منها ما يعتبر عن افكاره وعواطفه ولم يوظف صورة الحيوان في تكوين صورة فنية للتعبير عن المعاني العميقة في نفسه مما يعبر عن موقفه من الواقع ويصنع عالمه التعري كفعل قيس بن الخطيم[2]،حيث قال:

مَنْ يَكُ غَافلاً لَمْ يَلْقِ بُؤْساً   يُنح يَوْماً بسَاحته القضاْءُ.

في هذه الصورة تتضافر ثلاثة مصادر لإيجادها: الطبيعة ممثلة في الجمل وأفعاله والبيئة الاجتماعية ممثلة في حطّ الرحال في ساحة البيت وفائه، ثم البيئة.

النفسية للشاعر الذي تشغله قضية الموت فتنغص عليه حياته، فقد ربط بين القضاء والجمل على الرغم من أنّها يبدو أن يبدوا أن لا رابط بينهما، فالشاعر خلال المصادر الثلاثة حاول أن يحدث بين الألفاظ ارتباطا تغير مألوفة، ومقارنات غير معهودة في اللّغة العادية.[3]

[1]علي الغريب محمد الشناوي،الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي،مكتبة الآداب،ط1،2003،ص:22.
[2]ابن طباطبا،عيار الشعر،محققه:عباس عبد الستار،دار الكتب العلمية،ط1،1982،ص:48.
[3]امرؤ القيس،الديوان:65.

الطّبيعة مصدر للصورة: الطبيعة هي ذلك الكتاب المفتوح، الذي لا يفتأ الإنسان يرجع البصر فيه ويحمل الفكر فيه ما تعاقب الّيل والنّهار، ويظل الإنسان يتأمل صور ذلك الكتاب الجميل ولما يفرغ منه، ويظل تلميذاً صغيراً في مدرسة الطبيعة الكبيرة بأرضها وسمائها وجمادها، وحيوانها وجبالها وأنهارها، وليلها ونهارها.

أ ـ النّبات: اهتم الشعراء بعناصر الطبيعة النّباتية بأشجارها وأزهارها، ورياضها فإذا أزادوا النيل من أعدائهم فإنه يستعمل جذور النخل الخاوية التي لم تحن للريح فاقتلعها من أصولها.[1]

ب ـ الحيوان: يشكل الحيوان مصدراً ثرياً لإنتاج الصورة الفنية في شعر قيس بن الخطيم ويستحوذ الأسد المنزلة العليا من حيث التردد والحضور، حيث يشكل هذا الحيوان رمزاً من القيم الاجتماعية والنفسية المرموقة.

بينما يرى بعض الدارسين أن صورة الناقة في الشعر الجاهلي بصفة عامة تحمل رمزاً دينياً، وهو ما عبر القرآن الكريم عن تحريمه في قوله:" مَا جَعَلَ الله منَ بُحَيْرَة ولاَ مَائيَةَ ولَا وَصيَةَ ولا حَام ولَكنَ الذيْنَ كَفَرُوا يَفْنُونَ على الله الكَذبَ وَأَكْثَرَهُم لا يَعْقلُونْ"[2]

---

[1]عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،ت شيخ مصطفى ومتيسر عقاد،ط1،مؤسسة الرسالة الناشرون،بيروت،لبنان،2004،ص:74.

[2]القرآن الكريم، سورة المائدة ،الآية :[103].

الخصائص الفنية والموضوعية في شعر الطبيعة:

1- الواقعية في الشعر الجاهلي:

لقد تحدث الشاعر الجاهلي عن كل شيء أحس به وشاهده، وكانت أوصافه مستمدة من هذه المظاهر التي وقعت تحت نظرة، وكان شعره مستمداً من صميم البيئة التي وجد فيها، ومن النزوع الطبيعي لتعبير عن الوجود الحي الذي كان يعيشه ولا أغاني إذا قلت أن الشعر الجاهلي قد صوّر الحياة الجاهلية تصويراً صادقاً، فالحياة لم تكن نمطاً واحداً، وإنّما كانت تختلف باختلاف المواطن المختلفة، فهي حياة قبيلة الصحراء وحياة مترفة في قصور الملوك والأمراء والسادة، وكان الشعراء متميزين، ومن هنا كانت الصورة التي يتطرق إليها الشاعر الجاهلي دالة على إحساس عميق ببعض المظاهر التي كانت تضطرب في نفسه، وترتبط في كثير من الأحيان بصور إنسانية مؤثرة بعيشها الشاعر نفسه، وكان الشاعر يحرص أن تكون صورته مأخوذة عن واقعية المحسوس.[1]

ومن مظاهر هذه الواقعية اهتمام الشعراء بالألوان عند تعرضهم لمظاهر الطبيعة وكأنّهم يبتغون الدّقة في التصوير بما يعطون من ألوان الأشياء أو ما يذكرون من تفاصيلها وكانت نظريتهم إليها نظريهم إليها نظرة تدقيق وتمحيص ومراقبة تتبع، وهكذا وجدو في الألوان الصورة المعبرة فالحيوان إذا اقشعر خرج باطن شره.

ومن المظاهر الأخرى في هذه الواقعية، ظاهرة تصوير الجوانب الدقيقة اي تكمل الصورة وتمنحها القدرة على التعبير وتبرز الغرض من أجله حاولوا هذه المحاولة، فإذا رغب امرؤ القيس في تشبيه صفاء عين فرسه.

وتعد مقارنات الشعراء التي كانوا يعقدونها من أكثر الأدلة وضوحاً على واقعيتهم لأن هذه المقارنة لا تتهيأ إلا لمن غير صلة بين التشبيه وأدرك الصفة البارزة فيه.[2]

[1]نوري حمودي القيسي،الطبيعة في العصر الجاهلي،ص:308.
[2]المرجع نفسه،ص:316.

2- القصصية في الشعر الجاهلي:

يعتمد كثير من الشعراء الجاهليين على السرد القصصي في صور تناولهم للحيوان الذي يصورونه، ويكاد يصبح ذلك تقليدا يتسم به بعضهم، وأكثر ما كان يرد هذا السرد في أحاديثهم عن الصيد والمديح والرّثاء، وقد اتخذ الشعراء من حياتهم، الحافلة بالحوادث التي تصادفه، فالحيوان الذي يعيش معه أو الشارد في أجزاء الصحراء كانت مقومات ناضجة للسرد القصصي، وكان الشاعر الجاهلي ينظر إلى الفكرة التي يريد معالجتها من جوانبها المتعددة ليمنحها الإطار الكامل، ثم يجمع بعد ذلك أشتاتها، ليعد منها هيكلاً عاما لهذا السرد، ولهذا يمكننا اعتبار معظم قصائد الشعراء التي عرضوا فيها لوصف الرحلة سرداً تتمشى فيه الروح القصصية.[1]

والشاعر الجاهلي في سرده هذا المكان يبغي التعبير عن فكرة ماثلة في ذهنه ولهاذا كانت الحركات تخضع ـ في داخل السرد ـ لفكرة الشاعر التي يريدها، والشاعر في كل الأحوال يهيء في حالة وصف النّاقة وتشبيهها بالثور أو البقرة الوحشية في حالة المديح في الغالب.

وهنا يعد الشاعر أدواته ليعطي الفكرة المرسومة في ذهنه كل ألوانها فيصور الموت وقد تهيأ، ويرسم القدر وقد حان ..... وهنا يطمئن الشاعر إلى هذه النهاية التي وضح خطوطها قبل أن يبدأها وصمم هيكلها قبل أن يشرع في سردها، ويختم القصة بعبارته التي توحي بالرضا، ليبعث في نفسه الراحة، من المصير المقدر، يدرك إنسان والحيوان ولا يفلت من قبضته أحد.[2]

---

[1] نوري حمودي القيسي،الطبيعة في العصر الجاهلي،ص :316.

[2] المرجع نفسه،ص: 324.

3- الخصائص المعنوية:

يتميز الشعر الجاهلي بوضوح معانيه، وبعده عن كل تكلف أو إغراق وهذا أمر طبيعي، بالنسبة له، لنشوئه في بيئة لم تتعقد فيها حياة الإنسان تعقيداً يوحي بالتكليف، ومن هنا كان الشاعر الجاهلي أمين في نقل الصور، والمحافظة على أشكالها كما هي في العالم، المحيط به، وكان أدب هذه الفترة من أصدق آداب العربية واثبتها في رسم الحياة، وتبيين مظاهرها التاريخية وهو يعطي الدارسين الوجه التقريبي للحياة العربية خلال العصر الجاهلي ينقل الصور التي تلوح أمامه نقلاً أميناً، بعيداً عن تحليل الأوصاف، والتعمق في التشبيهات فأراد التشبيه كانت تشبيهاته حسية، يحاول فيها إبقاء جواهر الموضوعات على حالتها دون تغيير أو تبديل.[1]

إن حرص الشعر الجاهلي على نقل الصور نقلاً أميناً، جعل حالته الحسية لأنه كان ينزع فيها نزعة مادية بعثة، فالوحش الذي كان يصيده امرؤ القيس، كانت عيونه متغرقة على الأرض، وكان التشبيه يصل عند كثير من الشعراء إلى السرد القصصي الذي يبرز فيه الشاعر ما يروم لتعبير عنه، ويسكب فيه عاطفة التي تتحدد في الصورة، ولم نجد الشاعر الجاهلي أحفظ من هذه الصورة التي كانت تطالعه من كل جهة يتجه إليها ليقدرها ويؤكدها في الذهن فكان هذا الفيض الزاخر من ألفاظ الرمال والرياح والسيول والبروق والإبل والخيل والثيران الوحشية...، وكان الشعراء أدركوا حقيقة التصوير والصورة وهي تتجلى بأشكالها وهياكلها وأجزائها، وأدركوا ذلك التفاصيل المتمثلة في الألوان والمظاهر التي تبرز تلك الحقيقة.

كل هذا يدل على أن الشعراء لم يقفوا عند حدود التشبيهات والصور التي عرفت، وأن وقوفهم الطويل عند المعاني المتداولة في عصرهم، وهي بعد ذلك تصور مدى الجهد الذي كان يودعه الشعراء قصائدهم.[2]

[1]نوري حمودي القيسي،الطبيعة في الشعر الجاهلي،ص :325.
[2]المرجع نفسه :362.

5الخصائص اللّفظية والموسيقية:

ترتبط الخصائص اللّفضية في الشعر الجاهلي ارتباطاً وثيقاً بالخصائص المعنوية لأن التراكيب اللّفظية لا تنبثق إلا من هذه الخصائص، وطبيعي أن تكون الألفاظ متشابهة إلى حد كبيرها دامت المعاني التي كان الشاعر الجاهلي يعرض لها تتشابه إلى حد كبير مت دامت المعاني التي كان الشاعر الجاهلي، وهم يطرقون الموضوعات الواحدة ويعالجون الحالات المتشابهة

وهكذا يستعين الشعراء بالأوصاف التي ذكرناها في حديثهم عن سرعة رواحلهم وإذا رغبوا في وصفها بالشدة والصلابة والقوة والوعارة، ويتضح لنا أن الشعراء الجاهليين كانوا يأثرون في وصف حيواناتهم، اللفظ الجزل والغريب بما يوحيه من إمارات القوة في الحيوان الذي يتحدثون عنه، وكان بعض الشعراء يميل إلى استعمال الألفاظ التي توحي بالمعنى والحركة.

واستعان الشعراء لغرض التأثير في مسامعهم لطائفة من المحسنات اللّفظية من مطابقة أو مجانسة،فكانت تتأثر من حين إلى حين ألوان من هذه المقابلات في قصائدهم.

وكما أدرك الشعراء استعمالات وقوة أدائه التّعبيري فقد أدركوا البحور التي يعرضون فيها أوصافهم، وفضل البحور الطويلة على غيرها من البحور، لإستعاب بعض للمعاني واستعابها لتشبيهات واستعارات والمجازات والكنايات، ولأن الصورة التي يريدون استعمالها لا تكمن في البحور القصيرة وفي كل هذه الخصائص يحاول الشاعر أن يجد الطريق لتأثير في نفوس السامعين، ومن خلال هذه المحاولات يبرز مدى الجهد الفني كان الشاعر يبذله في سبيل ذلك حتى يأتي باللّفظ المؤثر والتّشبيه الدّقيق.[1]

[1]نوري حمودي القيسي،الطبيعة في العصر الجاهلي:ص:363-370.

الوصف عند امرؤ القيس"انموذجاّ":

لمحة لسيرة امرؤ القيس:

1- نسبه: هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، كنيته أبو وهب وأبو كارت، قيل أنّ إسمه جندح، وإن امرؤ القيس لقب غلب عليه، ومهناه رجل الشدّة لقب به لما لقي من الشدائد.[1]

ولد امرؤ القيس في أوائل القرن السادس للمسيح في نجد، وذكر مِرخوه أنّ أمه عي فاطمة بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب، والمهلهل ولكن هذا القول مشكوك في صحته لأن امرؤ القيس ذكر في شعرة خلاً له إبن كبشة.

2- حياته: كان امرؤ القيس ذكياً متوقد الفهم فلما ترعرع أخذ يقول الشعر فبرز إلى أن تقدم على سائر شعراء وقته بالإجماع وكان مع صغر سنه يحب اللّهو وتتبع الصعاليك العرب ويتنقل في أحيائها ويغير بهم، وكان يكثر من وصف الخيل ويبكي عل الدمن ويذكر الرسوم والأطلال.[2]

تشرده:- فعاد امرؤ القيس إلى والده إلا أنّه لم يكف عن قول الشعر، فطرده أبوه وأبى أن يقيم معه أقنه من قول الشعر، وقيل بل طرده لمّا تغزل بفاطمة وكان لها عاشقاً، فكان يسير في أحياء العرب أخلاط من شذاهم من طيء وكلب وبكر بن وائل، فإذا صادف غديراً وروضة وموضع صيد قام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج إلى الصيد، فتصيد ثم عاد، فأكل وأكلوا معه، وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه، ولا يزال كذالك حتى ينفذ الماء ذلك الغدير ثم ينتقل إلى غيره.[3]

---

[1]امرؤ القيس،الديوان،دار صادر،ط3،1428-2007،بيروت ،لبنان،ص:5.

[2]ديوان امرؤ القيس،ص:8.

[3]ديوان امرؤ القيس،ص :10.

4_ تًصعلكه:- ثم لم يزل امرؤ القيس مع صعاليك العرب حتى أتى خبر مقتل أبيه وهو بدّمون من أرض اليمن وقيل من الشام، وأخبر إبن السكيت: أن حجر ابناه لمّا طعنه بعض بني أسد ولم يجهر عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل من بني عجل يقال عامر الأعور وقال له: انطلق إلى إبن نافع، فإن بكى وجزع، قال عنه استقر أولادي، واحداً واحداً حتى يأتي امرؤ القيس وكان اصغرهم، فإن لم يجزع فادفع إليه سلامي وخيلي ووصيتي، وقد كان يبين في وصيته من قتله وكيف كان خبره.[1]

موته بالجذري:- وقد ذكروا المؤرخين أن يوستيدنياس قلّده اغمره فلسطين إلا أنّه لم يتبع في أصلاح أمرة وإعادة مكة، فذجر امرؤ القيس وعاد إلى بلده، وكانت وفاته نحو سنة 525ميلادي، أصابه مرض الجذري في طريقه وكان سبب موته، وذكر في كتاب قديم مخطوط إن ملك قستنطينة لّما بلغه وفاة امرؤ القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه، ففعلوا وكان تمثال امرؤ القيس هناك إلى أيام المأمون، وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم ليأخذوا الصائقة.[2]

---

[1] ديوان امرؤ القيس :ص:13

[2] المرجع نفسه،ص:26

6شاعرية امرؤ القيس:

امرؤ القيس من فحول الجاهلية. يعد من المقدمين بين ذوي الطّبقة الأولى، وفي شعره رقة اللّفظ وجودة البنك، ورقة المعاني، سبق الشعراء إلى أشياء إبتعادها واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء كوقوفه واستقافه صحبة في الدّيار ورقة النّسيب، وقرب المأخذ، وجودة التشبيه وتفننه فيه، ودقة الوصف وبراعته فيه، وما في وصفه من حياة وحركة، وفي شعره من رمز وتلميح ومن موافقة الألفاظ للمعاني.

قيل أن العباس بن عبد المطلب عمر بي الخطاب من الشعراء واميرهم فقال امرؤ القيس سابقهم خسف[1] لهم عين شعر فافتقر عن معاني عور أصلع بصير، وفضّله الإيمام علي بأن قال:" رأيت أمرؤ القيس أحسن الشعراء نادرة وأسبقهم بادرة، وإنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة".

وقيل إن إن امرؤ القيس لم يسبق الشعراء لأنه قال ما لم يقولون، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها، لأنه أول من لطّف على المعاني، واستوقف على الطلول وقرب مآخذ الكلام،فقيد الأوابد وأجاد الإستعارة والتشبيب منها ذكر الطلول، والإلتفات إلى الأحباب ولنقن ف الأوصاف، وقد ترك ترك امرؤ القيس مذهباً شعرياً هو الوقوف على الأطلال والبكاء غليها سار عليع الشعراء من بعده.[2]

---

[1]خسف،من الخسف : وهي البئر التي حفرت في حجارة وخرج منها ماء كثير

[2]ديوان امرؤ القيس،ص :26.

6- ديوانه:

عني المستشرفون بدوان امرؤ القيس ونثره المستشرق الفرنسي دوسلان في باريس بي عامين(1836-1837) في ثماني وعشرين قصيدة وأعيد الطبعة بمصر سنة 1930،ثم نشره أبو الفضل محمد إبراهيم بالقاهرة عام1948، بدار العارف،وقد عاد المحقق إلى مخطوطات الديوان وقسمه إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول:- رواية الأصمعي واتخذ لها أساساً نسخة الأعلم.

القسم الثاني:- رواية المفضل واتخذ لها أساساً نسخة الطوسي.

القسم الثالث:- زيادات النسخ على هاتين الروايتين من ملحق الطوسي والسكري وأبي النحاس، وأبي سهل بالتوالي.

ولقد جاءت رواية الأصمعي في (28) قصيدة ومقطوعة،ورواية المفظلة بها لم يرو الأصمعي في (10) قصيدة ومقطوعة وزيادات نسخة إبن نحاس(6) قصائد ومقطوعات والحق بالديوان ما وجده في كتب الأدب والتاريخ والمنسوب إلى امرؤ القيس ورتبه على الحروف المعجم وهذه الرّوايات ليست موثوقة فأكثرها من منقول حماد الرواية وينبغي على حد تبير شوقي ضيف أن نتلقى رواية الأصمعي،بغير قليل من الحذر والاحتراس.[1]

[1]كفافي منذر ذيب وأبو زيد سامي يوسف،الأدب الجاهلي،دار المسيرة للنشر والتوزيع،ط1،عمان، الأردن،ص:322.

معلقة امرؤ القيس" انموذجاً:"

1- تحليل القصيدة:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزلي بسيط الورى فحوملي، مطلع معلقة امرؤ القيس الرائعة الشهيرة والتي تدل على شخصية صاحبها المرحة وروحه الموهوبة، موجوته المأثور وأسوب القصيدة فيه أسر وقوة في عذوبة حيناً مع الجمال والصدق والتّقل في الخيال ومع سحر المطلع وفخامته، ومعانيها قريبة لا تعقيد فيها تنكىء على الحسن المشاهادات، فهو حين يتحدث عن الحب يصف جمال المرأة ومحاسنها، وحين يصف الفرس يتحدث عن ساقه ومتنه وشعره وحين يتحدث عن المطر يصف كثرته وأنه ألقى مياهه على جبل كذا وكذا، ففزعت العصم وهدّمت البيوت وسقطت جذور النّخل، دون أن يتحدث الشاعر عما وراء هذه الأوصاف الحسية في الخيل و المطر أ عن عواطفه الإنسانية في حبه وغزله.

وتمتاز المعلقة العلقة بأنها مظهر للبلاغة العربية، وبما فيها من أساليب البيان ومناهج الأداء وصور التّعبير، وألوان الرّسم والخيال والتفكير فيها تشبيهات بليغة عذبة كثيرة واستعارات جميلة بالغة وكنايات أنيقة ساحرة، وسوى ذلك الإنسانية في حبه وغزله .[1]

2- منزلة المعلّقة:

تكاد كلمة العلماء بالشعر، تتفق فيما تتعلق بمنزلة المعلّقة على أن أفضل تراث عربي ورثه العرب من شعر الجاهلية"معلقة امرؤ القيس"، ويعدون ابتدائها أفل ابتداء من ططالع الشغر العربي وقد بلغت من الشهرة في عالم الأدب والشعر، منزلة ليست لغيرها، حتى جعلت مثلا أعلى في الجودة، وحتى ضرب بها المثل في الحسن والشهرة، فقيل:(أشهر من قفا نبكي)(وأحسن من قفا نبكي).

وما زالت هذه المعلقة ولن تزال معيّنا يستمد منه الأدب العربي ثروة جديدة وركيناً سقيم عليه صروع مجددة في الماضي والحاضر وهي أشبه بالخزائن المدفونة المشحونة بصنوف من الجواهر والأعراق النفيسة كلما ازداد المنقبون فيها بحثاً رأوا مما فيها من الذخائر الرائقة، والآيات الرائعة، مالم يروه منقبل فلا يكاد ينفذ ما فيها من أنواع الحسن والرّوعة.وحسبك دليل ناصعا وبرهانا قاطعاً على هذا، أنك لا تجد كتاباً في اللّغة والأدب (على اختلاف أنواعهما وتعدد أشكالهما) إلا ولإمرؤ القيس فيه أبيات يتمثل بها ويحتج ويشار إلى مواطن الجمال الباهر والفن الساحر فيها.فمعقة امرؤ القيس وشعره كله عماد قام عليه الأدب العربي في القديم والحديث، ومثال أحتذاه الأدباء في كل جيل ومهما تبدل

[1]من الأنترنت،الموقع: https//www dorar/aliraq.net

الزمان وأهله وتغيير بتغيير حياتهم الاجتماعية والعقلية، فإن في شعر امرء القيس ما يصلح أن يكو مثل أعلى في كل جيل وطور وفي كل بيئة.

3- سبب نظم المعلقة:

وذهب بعض العلماء، حول سبب نظم المعلقة إلا أن امرؤ القيس كان يعشق عنيزة واخذ ثيابها يوم الغدير مع صاحواحباتها ثم عقر لهن ناقته ثم ركب معها ناقتها فدخل عليها الهودج، كما تقدم. ثم نظم المعلّقة وذكر هذه القصة فيها وإذا صحّ أن هذا وحده هو السبب في نظمها، فقد يأخذ عليه عدم وحدة الموضوع في القصيدة، لأنه ذكر فيها وصف الجواد واليل والبرق والسحاب، ويجوز أن يكون يوم الغدير سبباً من جملة الأسباب وأن الشاعر كان مولعاً بالشعر واستهل هذه القصيدة بالغزل وثنى فيها بقصة الغدير ولوعه بالنساء والتشبيب بهن ثم عززها بوصف الجواد لأن ركوب الخيل في المزلة الثانية عنده في اللّذاذة واستطرد إلى وصف الصيد والطبيعة، جرياً على سنة الجاهلية في عدم الوحدة واشتمال القصيدة الواحدة على أغراض متعددة، ومما لا ريب فيه أن هذه القصيدة وليدة الشباب، وربيبة الصبا:نظمها الشاعر حين لم يكن في قلبه ما يشغله إلا صبوا والطموح في سبيل الشهوة، قبل أن تملأ المصائب قلبه، ولذلك يرى الباحث فيها ماء الشباب يترقرق في تضاريف كلماتها ونظرة النّعيم تتراء في أسرتها.[1]

4- أغراض القصيدة في المعلقة:

كانت القصيدة الجاهلية(والمقصود بها المعلقة) طويلة متعددة الفنون والأغراض فكان الشاعر الجاهلي يطرق الفن الواحد أحيانات مرتين أو أكثر من مرتين في القصيدة الواحدة، فقد يفتخر بنفسه في مطلع القصيدة ثم ينتقل إلى الوصف مثلاً ثم يعود إلى الفخر.

وكانت القصيدة الجاهلية تجمع عدة أغراض، وعادة تبدأ بالغزل وذكر الأطلال ثم يتجه الشاعر إلى وصف الناقة أو الفرس ثم ينتقل إلى الغرض الرئيسي من فخر أو مدح أو هجاء وقد يختمها بشيء من الحكمة.

أ - النّسيب والتّشبيب مع الأطلال: النّسيب (ويسمى التّشبيب) وطريقه عند الجاهلية يكون بذكر النساء ومحاسنهن، وشرح أحوالهن ممن ظعنهن وإقامتهن، ووصف الأطلال والديار بعد مغادرتهن والتشويق إليهن بحنين الإبل، وغناء الحمائم ولمع البروق ولوح النيران،

[1] ضياء غني لفتة العبودي،معلقة امرؤ القيس في دراسات القدامى والمحدثين،دار الحامد للنشر والتوزيع،ط1،دت،ص:134.

وهبوب النسيم وذكر اليه والمنازل التي نزلتها، ولرياض التي حللتها، ورهن ما بها من خزامى وبهار وأقحوان، وكانوا لا يعدون النساء إذا نسبوا وكان للنسيب عندهم في مقام الأول من بين أغراض الشعر حتى لو إنظم إليه غرض آخر، قدم للنسيب عليه، وافتتح به للقصيدة لما فيه من هو النفس، وارتياح الخاطر لأن باعثة هو الحب، وهو السر في كل إجتماع إنساني وأهل البدو أكثر الناس حباً لفراغهم.

وتلاقي قبلئلهم المختلفة في المصايف والمرابع، فإذا ما افتقروا ذكر كل أليف ألفه وحبيب حبه، ثم عادوا الأماكن مرّة أخرى وهاج أشجانهم، وجدد الذكر فيهم ما يرونه من آثار أحبابهم وأطلال منازلهم.[1]

ب - الغزل: أن النقاد قسموا الكلام في المرأة قسمين: وما كان في وصف الظاهر من حسن وجهها وجمال قدّها ولون شعرها وإتساع عيونها بقوله اسم الغزل وما كان يتناول الشكوى من فراقها التشوق إلى لقائها وإظهار جمالها سموه نسيباً، فيتحدث الشاعر عن قوامها مهفهف رشيق ضامرة البطن مسقولة التراب.كالمرأة في صفاء اللون وبياض البشرة ونعومة الجلد إذا نظرت إليك محرتك عيناك الجميلتان الواسعتان، الممتلئتان حناناً وعطفاً، وقوة ووحشية تزنوا إلى جؤذرها.[2]

[1] عمر فروخ،النهج الجديد في الأدب العربي،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ص:34.
[2] المرجع نفسه،ص:22.

5- وصف الطبيعة في معلّقة امرؤ القيس:

يدور وصف امرؤ القيس فضلاً عن موافق الغرام حول طبيعة الحياة الجميلة وطبيعة هذه عشيقة عنده لماها فيحياته من لسوق منها:

- في الأبيات من البيت[44إلى غاية47] يذكر الشاعر عن وصف اليل فهو يتصور الّيل كأنه أمواج لاتنتهي، ويحسن كأنّه طال وأسرف في الطول حتى لا يظن كأن نجومه شدت بأسباب و أمراس من جنادل وجبل فهي لا تتحرك ولا تزول كأمنا مرت في مكانها وهي لا تجري ولا تسير.
- ثم يذكر الشاعر عن وصف الوادي والذئب ففيه من الأبيات [48إلى 51]
- وأما وصف الفرس فهو وصف رائع لفرسه الأشقر فقد صوّر سرعته تصويراً بديعا وبدأ فجعه قيدا الأوابد الوحش إذا إنطلقت في الصحراء، وهو لشدّة حركته وسرعته وكأنه يفر ويكر في الوقت نفسه، وكأنه يقبل ويدبر في آن واحد وكأنّه جلمود صخر يهوى به السبيل من ذروة جبل عالي وهذا الوصف يذكره الشاعر في الأبيات من [52إلى62].
- فأما القصيدة التالية وهي وصف الصيد يغني قطيع من البقر الوحشي.فالصور ذيولها أنّه يدرك أوائلها قبل تفرق جماعتها، يصفع بشدة عدوه وصاد هذا الفرس ثوراً ونعجة من بقر الوحش في طلقة واحدة، كثر الصيد فأخصب القوم فطبخوا والتي تبدأ منالبيت[64إلى69].
- أما وصف البيرق والسيول ففيه تتبع الأسباب المطر واتباعه أثره في الطبيعة التي ألمّت بمنازل قومه بني أسد بالقرب من تيماء في شمال الحجار والمطر فجاء في البداية إذ نزل نزول شدّة واندفع سيولاً جارفة، وهذه الأوصاف يعتبرها الشاعر في الأبيات من البيت[70إلى81].[1]

[1]عمر فروخ،المنهج الجديد في الأدب العربي ،ص:34

5ـ القيمة الأدبية للمعلقة:

_ ومعلّقة إمرء القيس ذات قيمة أدبية كادت تتفرد بها في التراث الشعري العربي حتى قال عنها ابن الكلب:إن أول شعر علق في الجاهلية شعر امرؤ القيس وجعلها البلقاني (م403ه) المثال الذي اختاره العرب في الشعر والمرجع،يقاس كل ما عداها بها فقال:" ولمل إختاورا قصيدته في السبعيات أضافوا إليها أمثلها وقرنوا بها نظائرها ثم ترتهم يقولون لفلان لامية مثلها، ثم ترى أنفس الشعراء تتوشق إلى معارضته وتساويه في طريقته"

ولذا إنتقى موضوعاً لدراسة متقصية يثبت فيها تفاعتها وهي رمز ما احتذى به العرب من شعر أمام اللّغة القرأنية التي لا تدانيها في رأيه؟ـ لغة بشرية في كتابه إعجاز القرآن ـ وأكّد إبن عبد ربه (م328ه) افتتان العرب بشعر المعلّقات فقال:" حتى لقد بلغ من كلف العرب به (الشعر) وتفضيلها له إن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطس المدرج وعلّقتها على إستار الكعبة فمنه قالت مهذبة امرؤ القيس والمذهبات السبع وقد يقال لها المعلّقات".[1]

[1]من الأنترنت، الموقع، www .fehrestcom.com>index>chapter

وفي الختام نلخص إلى النّتائج التالية:

ـ تعدّ قدرة الشاعر الجاهلي على تطويع مظاهر الطّبيعية في إبداعه واسعة ليس لها حدود، حيث يحسّن استغلال صورة الطبيعة حسب وقفه النفسي وحسب طبيعة الأحداث فينتج صوراً بديعية تكاد تكون لوحات فنّية أبدع في رسمها، وأضفى خبراته عليها.

ـ كما أن طبيعة عصر الشعراء الجاهليين كانت بسيطة غير مرّكبة فكانت الصحراء وكانت المراعي وكان الامتداد أمامهم يغلف مشاعرهم في شي من"البساطة".

ـ مما يجعلهم يعتمدون الإيقاع السّريع الخاطف قاعدة لإبداعاتهم وليس لديهم النّفس الطّويل الذي يركب عاصفة معقّدة، وإنّما جاءت مشاعرهم إبداعاً متأثراً ببيئاتهم، كلمع البرق أو كرمية سهم أو وثبة فرس.

ـ إذا الشاعر الجاهلي لم يفرض إرادته الفنية على الأشياء، التي وصفها بل كان يحاول نقلها إلى لوحاته نقلاً أميناً يبقيه فيها على صورها الحقيقية دون أن أن يدخل عليها تعديلاً يمس جوهرها، فأبلغ الوصف ما قلب السمعي بصراً.

ـ حيث أن مظاهر الطبيعة و بيئة جاهلية، من ماء ونبات ونجوم ورياح ومطر وبحر وأشجار وحيوان كلّها تمثل للشاعر الجاهلي مصدراً يستقي منه إبداعه وفنّه وتشبيهه، ويحمل مكانة خاصة لا يمكن أن يتجاهلها في عمله الإبداعي مما جعل لها أثراً واضحاً جلياً فيه.

ـ وكل شاعر في الجاهلية بدا بصورة المظهر المثال، فناقته ناقة المثال، وفرسه فرس مثال حتى المطر عند الجاهلي مطر مثال، وكل هذا يسعى في إبداعه إلى رسم الصورة المثال حتى تتشابه اللّوحات الإبداعية لمظاهر الطبيعة بشكل جلي.

ـ وبهذا شكلت الطبيعة مصدراً أساسيا استوحى منه الشعراء الجاهليون إبداعاتهم، بكل ما حملته مظاهر الطبيعة من صور جمالية موحية ومكانة دينية وعقيدة راسخة .

ـ وكل من يجع إلى الشعر الجاهلي ويطيل البحث والغور فيه يرى به تصويرً واسعاً متنوعاً وبديعاً لمظاهر الطّبيعة ويخلص إلى أن الشعراء الجاهليين أفادوا منها فوائد كثيرة في معانيهم وصورهم وإبداعهم وفنونهم مع التنويع في الأخذ والافتتان في العرض .

ـ وخير مثال هذا الشاعر الجاهلي امرؤ القيس الذي جسد في معلقته كلّ المعاني للوصف والتشبيه لمظاهر الطبيعة ،حيث كان من أهم الشعراء الجاهليين الذين برزوا في وصف الطبيعة

قائمـــــــة المصـــادر والـــــمراجع

القرآن الكريم

1. القرآن الكريم،سورة الأنفال.
2. القرآن الكريم، سورة المائدة.

المصادر:

1. أحمد الهاشمي،جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب،مطبعة السعادة،دط،مصر،1956.
2. أحمد حسن الزّيات،تاريخ الأدب العربي،دار المعرفة،ط1،2000.
3. أبو الحسين أحمد إبن فارس،الصحابي في فقه اللّغة،مؤسسة بيران،لبنان،بيروت،1964.
4. أبو هلال العسكري،الصناعتين،المكتبة العنصرية،ط1،بيروت،لبنان،1419.
5. ابن منظور ابو الفضل جمال الدين الأنصاري،معجم لسان العرب،دار الصادر،ط3،بيروت،لبنان،1965.
6. ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1.

7.ابن طباطبا،عيار الشعر،ت عباس عبد الستار،دار الكتب العلمية،1982.

8.ابن خلدون،المقدمة،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ط1،بيروت،لبنان،2004.

9. أنيس إبراهيم،المعجم الوسيط،دار الفكر،ط3،سوريا،1998.

10. إيليا الحاوي،فن الوصف وتطوره في الشعر العربي،دار الكتاب اللبناني،ط2، 1978.

11. امرؤ القيس، الديوان،دار الصادر،دط،لبنان،بيروت،1958.

12. الآمري،الوازنة بين أبي تمام والبحتري،دار المعارف،ط4،2006.

13. الخنساء تماضر بنت عمر، الديوان،دار الأندلس،دط،بيروت،لبنان،1962.

14. القيسي حمودي النوري،الطبيعة في الشعر الجاهلي،عالم الكتب للطباعة والنّشر،دط،بيروت،لبنان،2004.

15. الشنفري عمرو بن مالك،شرح وتحقيق إيميل يعقوب،دار الكتاب العربي،ط2،

بيروت ،لبنان،1993.

16. المفضل الضبي،ت محمد ساكر وعبد السلام هارون،المفضليات،ط6،القاهرة،

مصر،2010.

17. الوليد ابن عبيد الطائي البحتري،ت محمد توجي،دار الكتاب العالمي،دط،بيروت،لبنان،1994.

18. النابغة الذبياني،الديوان،دار المعرفة،ط2،بيروت،لبنان،2005.

19. الكفافي منذر ذيب أبو زيد سامي يوسف،الأدب الجاهلي،دار المسيرة لنشر والتوزيع،ط1،عمان،الأردن.

20. زهير بن أبي سلمى،الديوان،ت فخر الدين قساوة،دار الآفاق الجديدة،بيروت،

لبنان 1989،

21. حسين عزة،شعر الوقوف على الأطلال،دار الصادر،دط،دمشق،سوريا.

22. حنا الفاخوري،تاريخ الأدب العربي،المكتبة العربية،ط1،بيروت،لبنان،1980.

23. مصصفى الرافعي،تاريخ آداب العرب،دار الكتاب العربية،ط2،لبنان،1974.

24. محمد التويجي،المعجم المفصل في الأدب،دار الآفاق،ج2،لبنان،1956.

25. محمد العمري، البلاغة بين التخييل والتداول،إفريقيا الشرق،دط،2005.

26.محمد رجب البيومي،دراسات أدبية،دار الدراسة،ط2،مصر،1985

27. مصطفى ياصف،دراسة الأدب العربي،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،1988

28. سعيد محمد القيومي،فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي،دار المعرفة للطباعة والنشر،ط2،2002.

29. سويد بن أبي جاهل الشكري،الديوان،ت شاكر عاشور،وزارة الأعلام والنشر، دط،بغداد،العراق،1972.

30. عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،ط2،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1996.

31. علي الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي،الدار المصرية اللبنانية،ط1، القاهرةمصر،2004.

32.علي الجندي،في تاريخ الأدب الجاهلي،مكتبة دار التراث الطباعة،ط1،1991.

33. عنترة بن شداد،الديوان،دار الأندلس،دط،بيروت ،لبنان،1968.

34. عبد العظيم علي القناوي،الوصف في الشعر العربي،شركة مكتبة الطباعة،دط،مصر،1994 .

35. عبد الحافظ صلاح،الزمان والمكان وأثرهما في الشعر الجاهلي،دار المعارف

ط1،1993

36. عبد المالك مرتاض،المعلقات السبع السميائية الإنثيولوجية،منشورات إتحاد الكتاب،دط،1998.

37. عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،ت شيخ مصطفى ومتيسر العقاد،مؤسسة الرسالة الناشرون،ط1،بيروت،لبنان،2004.

38. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب،شركة الشهاب باتنة،الجزائر،1998.

39. قيس بن الخطيم،الديوان،ت ناصر الدين الأسد،ط3،بيروت،لبنان،1966.

40. ناصر الدين الأسد،مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التارخية،دار الجيل،ط7، 1988.

41.شوقي ضيف عبد السلام،تاريخ الأدب العربي،دار المعارف،ط1،قاهرة،مصر 2003.

42. غازي طليمات،الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه إعلامه فنونه،دار الفكر،ط1، بيروت،لبنان،2002.

43.موقع الأنترنت: https /www .doror/aliraq.net

44

. موقع الأنترنت:WWW.fehrestcom .COM>INDEX>CHOPTER

الفـــهرس

الفصل الثاني:تصوير الجانب الطّبيعي في الشعر الجاهلي.